



موعد مع الموت

أَهْنَاكِبْرِي

مَوْعِدٌ مَعَ الْمَوْتِ

الْمَكْتَبَةُ الْفَلَسَافِيَّةُ
مَيْدَنُ الْمَقْرَبِ - بَلْطَانَ

الفصل الأول

لقد ألح على الكثيرون بأن أكتب هذه القصة، فلم أر مناصاً من الاستجابة إلى هذا الإلحاح.

بيد أنني لا أكتمك، أيها القارئ، أن بعض الواقع قد فاتني، فسكان لا بد أن مستعين بذكرات السير أوستاس بيدلر، لأنقل عنها ما أسد به هذه الثغرات.

* * *

كان أبي البروفيسور بيدلر مجفيفاً من أكبر العلماء في المجلة في علم الإنسان البدائي وكانت مؤلفاته مرجعاً تقنيساً، ولكنه مات فقيراً، لأن كتبه لم تكن تلقى لها سوقاً إلا عند العلماء دون الجماهير، فسكان ما يطبع منها محدوداً يدر عليه دخلاً قليلاً.

ولما مات أبي اضطررت أن أهجر القرية التي نشأت فيها، وأن أستقر في لندن، سعيًا وراء عمل أرتقى منه.

وذات يوم من أيام شهر يناير، الثامن منه، كنت راجحة من لقاء فاشل مع سيدة زعمت في إعلانها أنها في حاجة إلى سكريبة، فلما تداولنا في الأمر

أدركت إنها إنما تردد في الواقع شفالة لا سكرتيرة .
وذهبط الدراج المؤدي إلى نفق القطار الكهربائي ، وجعلت أتشى على
الرصيف أترقب قدوم قطاري . وبلفت نهاية النفق ، وكان المكان خالياً ليس
فيه أحد من الركاب سوى رجل واحد ، كان واقفاً على الرصيف ، ينتظر
قدوم القطار .

ومررت بالرجل وتجاوزته ، وعند ذلك فتحت من صدرني عطسسة شديدة فقد
كان معطف الرجل يفوح بالنفاثتين الذي يزكم الأنوف . وكانت رائحة النفاثتين
النفاذة أشد مما أحتمل . كان الرجل ضئيل الجسم ، نحيف البنية ، تشوب وجهه
سمراً واضحة ، وله عينان زرقاواني ولحية صغيرة سوداء .

وفي هذه اللحظة استدار الرجل كأنما ليتابع المشي على رصيف القطار .
وتطلع إلى برهة ، ثم تجاوزت عيناه كتفي إلى شيء ورائي ، فانقلبت سمعته ،
وتبدلت في سياه أمارات الخوف ، بل اهتز وارتد الرجل خطوة إلى الوراء
كأنما ليتقي خطرًا داهماً مفاجئاً ، ونبي وهو في غرة ذعره أنه كان واقفاً على
حافة الرصيف ، وسقط فوق القضبان والأسلاك المكهربة ، فانبعث منها وميض
صاعق وقرقة شيء يخترق .

وأطلقت صرخة مدوية ، وهرع الناس راكضين على صرخي .

لقد صعق التيار الكهربائي الرجل المسكين
ونقل رجال الحطة الجثة إلى الرصيف .

وبرز من بين الجمجمة طبل القامة رمادي اللعنة عريض المنكبين ذو
رأس منبججة ، وهو يقول :
— إسمحوا لي أن أمر .. إبني طبيب .

والخفى فوق الرجل المسجى فوق الرصيف ، ومضى يفحصه .. ثم ما لبث
أن انتصب قائماً وهو يقول :
— لا أمل يرجى .. إنّه ميت دون شك .

و داخلني شعور بالغثيان ، و هرولت أنسد المصعد ، و كان الطبيب الذي فحص الجثة يتقدمني بخوذة أو خطوتين .

رأيت المصعد يهبط و يخرج منه مستقلوه ، وأسرع الطبيب يجري ليلحق به قبل أن يعاود الصعود ، وفيما هو يفعل ذلك سقطت منه ورقة واستقرت على الأرض .

و الحنيت التقط رقمة الورقة ، و جريت في أعقابه لاعيدها إليه ، ولكن أبواب المصعد كانت قد انطبقت ، وأخذت في الصعود .
ولم يكن مدوناً بالرقمة إلا بضعة أرقام وكلمتان و كان هذا نصها :

١٧ - ٢٢ - ١ قصر كيلمورتن .

و همت بأن أقذف بالورقة إلى قارعة الشارع وأمضي في طريقي ، ولكن زكرت أنفي في هذه اللحظة رائحة الفتاليين النفاذة ، وكانت هذه الرائحة منبعثة من الورقة التي بين يدي .

وعقدت ما بين حاجبي مفكرة : هذه الورقة رائحة الفتاليين ، ولم يطغى الرجل الذي وقع فوق القضبان نفس الرائحة .. فما معنى هذا ؟

لا بد أن هذه القصاصة كانت في جيب الرجل الذي صعقته القضبان المكهربة ، وأن الطبيب نشلها وهو يفحص الجثة .

وطويت الورقة و دسستها في حقيبتي ، و عدت إلى بيت مسر فليمنج ..
المحامي الذي كان يتولى شؤون أبي ، والذي تفضل واستضافني في بيته بلندن بعد أن كشفني بالحقيقة المؤلمة وهي أن أبي لم يترك لي سوى ثمانين جنيهًا هي كل ثروته

ورويت لمسر فليمنج ما كان من أمر المأساة التي شهدتها ، ثم لذت بغرافي ، وأسلمت نفسي إلى التفكير .

جعلت أتتيل ما حدث على رصيف المحطة . الجثة المسجاة على الأرض ..
الطبيب المجهول يبرز من بين الصحف الطبيب يفحص الجثة . الطبيب ..

وهنا فطنت الى شيء لم اتنبه اليه إذ ذاك . شيء عجيب لا يمكن أن يصدر من طبيب . ونزلت الى قاعة المائدة لاتناول العشاء .
وقالت مسر فليمنج :
— لا شك انهم سوف يستدعونك لحضور جلسة التحقيق .

وعقدت جلسة التحقيق ، وصحبني مسخر فليمنج الى المحكمة وتبين من التحقيق أن الرجل الذي صعقه التيار الكهربائي يدعى « ل. ب. كارتون » . ولم يوجد رجال الشرطة في جيوبه إلا تصريحًا من أحد سماة العقارات يخوله الحق في مشاهدة بيته معروض للبيجار على ضفة النهر بالقرب من مارلو معروف باسم « فيلا الطاحونة » ..

ومن هذا التصريح استطاع البوليس أن يستدل على اسمه المدون به وهو « ل. ب. كارتون » المقيم في فندق راسل .

وقد تعرف كاتب استعلامات الفندق على الجهة ، وقرر أن الرجل نزل بفندقه في اليوم السابق ، ودون اسمه في السجل على انه قادم من كبرلي يجنوب أفريقيا ، وبذاته انه قادم مباشرة من الباخرة .
ولقد كنت بين الشهود الوحيدة التي تعرف شيئاً عن الحادث .

وسأله قاضي التحقيق :
أتعتقد أن الحادث كان قضاء وقدراً .

— إنني على يقين من هذا .. لقد أفرزه شيء ما ، فارتدى خطوة الى الوراء دون أن يفطن الى انه واقف على حافة الرصيف فسقط على القضايان .
— ولكن ما الذي أفرزه ؟ .
— هذا ما لا علم لي به .

وعقب القاضي على شهادتي بأن أصدر قراره بأن الحادث إما أن يكون قد وقع قضاء وقدراً ، أو ان الرجل تعمد أن يلقى بنفسه على القضايان المكهربة بغية الانتحار ثم استقل القاضي يقول

- ولكن العجيب ان الطبيب الذي قام بفحص الجثة لم يتقدم للادلاء بأقواله . وما يوسف له ان أحداً من رجال الشرطة لم يفكري في أن يسأله عن اسمه وعنوانه .

وارتسمت على شفقي إبتسامة خفيفة وانا أستمع الى كلمات القاضي ، فقد كتبت الوسيدة التي أعتقد ان هذا الحادث لم يكن قضاء وقدراً ، وات له جوابه الخفيف .

ولذلك استقر عزمي منذ هذه اللحظة على ان أقوم لحساني الخاص بهذه الشرطي المسرى .

* * *

حملت إلى صحف الصباح التالي مفاجأة مذهلة لم أكن أتوقعها . فقد صدرت صحيفية الديلي بادجيت وفي صدرها النبا التالي بالخط العريض :

« العنور على إمرأة مخنوقة » .

وكان هذا نص ما نشرته الصحيفة :

« اكتشفت بالأمس مأساة رهيبة في « فيلا الطاحونة » في مارلو ، والتي يملكونها سير اوستاس بيدلر عضو البرلمان . وهو نفس البيت الذي عثر البوليس على تصريح بزيارته في جيب ذلك الرجل المدعو كارتون الذي صعقته القضبان المكهربة . وذلك ان الحارسة عثرت على جثة امرأة حسناء في احدى غرف الطابق العلوي وقد قتلت خنقاً ، ويقال ان القتيلة إمرأة أجنبية الجنسية وما زال التحقيق جارياً . أما سير اوستاس بيدلر فتفقىب الآن عن الجلود حيث يقضي فصل الصيف في الريفيرا .

الفصل الثاني

أسفر التحقيق في الحادث الجديد عن الحقائق التالية :

بعد الساعة الواحدة من ظهر اليوم الثامن من شهر يناير دخلت إمرأة أنيقة تتحدث بلكلمة أجنبية الى مكاتب مستر بيلد وبارك وشركاهم سمامرة العقارات في نايتسبردج ، وأبدت رغبتها في استئجار او شراء بيت على ضفاف نهر التيمس ، على ان يكون قريباً من لندن . وعرض عليها السمسرة قاعة بالديم من بيوت كان من بينها فيلا الطاحونة . وذكرت المرأة انها تدعى مسرز دي كاستينا ، وانها مقيدة في ريلز . ولكن ثبّت بعد مصروعها انها ليست تزيلاً في هذا الفندق .

واستدعيت للشهادة مسرز جيمس زوجة بستانى سير اوستاس بيدلر ، وهي المارة التي تشرف على الفيلا ، فقررت في أقوالها انه في الساعة الثالثة من نفس اليوم حضرت السيدة لمشاهدة المنزل ، وأبرزت تصريحها من السمسرة يخوّلها الحق في زيارته . وزودتها مسرز جيمس بالمفاتيح ، ففضلت اليها وحدتها دون ان تصصحبها المشرفة . وبعد بضع دقائق حضر شاب وصفته مسرز جيمس بأنه عريض المنكبين حليق اللحية يرتدي سترة رمادية . وذكر للمشرفة انه صديق للسيدة التي سبقته

وبعد خمس دقائق ظهر الشاب مرة أخرى وأعاد اليها المفاتيح ، وذكر لها

ان البيت لم يناسبها . ولم تكن السيدة الأجنبية في صحبة الشاب ، فخطرت لمسر جيمس انها لا بد أن تكون قد سبقته الى الطريق . ولكن الذي لم قفطن اليه إذ ذاك ان الشاب كان يبدو عنده متزعجاً قلقاً . وقالت « كان يبدو وكأنه رأى شيئاً »

وفي اليوم التالي جاء رجل بصحبته سيدة لمشاهدة المنزل واكتشفوا الجثة مسجحة على الأرض في إحدى غرف الطابق الأعلى . وتعرفت مسر جيمس على الجثة بأنها تلك المرأة الأجنبية التي جاءت في اليوم السابق ، كما تعرف عليها السفاسرة بأنها تلك التي قدمت نفسها لهم باسم مسر كاستينا . وقرر الطبيب الشرعي ان الوفاة حدثت منذ أربع وعشرين ساعة .

وذهبت صحيفية الدليلي بادجيت الى ان من المحتمل ان يتبرادر الى الذهن ان رجل الثغر الذي صفعه التيار الكهربائي هو الذي قتل المرأة ثم انتحر بعد ذلك . ولكن لما كان الرجل قد مات في الساعة الثانية ، بينما كانت المرأة لا تزال على قيد الحياة في الساعة الثالثة ، فلا شك منطقياً انه لا شأن لأي من الحادتين بالأمر اما التصرّع بزيارة فيلا الطاحونة الذي وجد في جيب قتيل الثغر ، والتصرّع الآخر الذي جاءت به قتيلة الفيلا فلم يكن امرها إلا مجرد مصادفة بختة .

وكان قرار قاضي التحقيق هو « توجيه تهمة القتل العمد ضد شخص او اشخاص مجهولين » .

وهكذا انطلق رجال البوليس ومخبرو صحيفية الدليلي بادجيت ببحثون عن الشاب ذي السترة الرمادية ، الذي جاء في أعقاب القتيلة عند ذهابها لمشاهدة فيلا الطاحونة .

وقد عثر البوليس في حقيبتها السوداء الحريرية على كيس مسليه بأوراق النقد ومحنة من النقد الفضي ومنديل حريري ، وتذكرة الایام إلى لندن . ولكن لا شيء آخر يمكن ان يكشف عن شخصيتها

كانت هذه هي التفاصيل التي نشرتها الديلي بادجيت عن هذه الأحداث ، وقد عقبت عليها بقولها : « إبحثوا عن الشاب ذي السترة الرمادية » . وكانت في كل يوم تكرر هذا النداء ولا تفت أبداً

وهكذا استقر في أذهان الناس أن حادث فيلا الطاحونة كان جريمة قتل متعمدة ، أما حادث النفق فكان مجرد قضاء وقدر .

فهل كان حقيقة قضاء وقدر؟ ..

ذهبت إلى اسكتلنديارد ، وقابلت المفتش ميدوز ، وتبادلنا التحية في بساطة ودعاني إلى الجلوس ، وسألني أن أدللي به ما لدى من معلومات .

وقلت له إنك سمعت طبعاً بحادث قتيل النفق ... الرجل الذي عثروا في جيبي على تصريح بزيارة فيلا الطاحونة .

فقال المفتش ميدوز في سماة واستخفاف :

- آه! .. أنت إذا مس بيده فييلد الذي أدلت بشهادتها في المحكمة؟ .. نعم .. كان في جيب الرجل تصريح بالترحح على الفيلا ، وهذا التصريح موجود لدى كثيرين غيره ، ولكن ليس معنى ذلك أنهم لا بد أن يقتلوا .

وساءني استخفافه وقلت له :

- ولكن ألا ترى أن من الغريب أنه لم يكن في جيب الرجل تذكرة الإياب؟ ..

- ولم يbedo الأمر غريباً أو الكثيرون يقدرون تذاكرهم بسهولة؟ .. أنا نفسي سبق أن فقدت تذكرة أكثر من مرة ..

- ألم تلاحظ أنه لم يكن معه شيء من النقود؟ ..

- كانت معه بعض قطع من النقود المعدنية ..

- ولكنكم لم تعاشروا على محفظته

- كثيرون من الناس لا يحملون محفظة على الأطلاق ..

ورأيت أن أحرجه من ناحية أخرى .. قلت :

- اليس غريباً ان الطبيب الذي فحص جثة قتيل النفق لم يتقدم الى قاضي التحقيق للادلاء بشهادته ؟ .

- وما وجه الغرابة في ذلك ؟ . إن الأطباء قوم مشغولون لا يجدون لحظة فراغ للتوجيه إلى المحاكم .

فقلت في غيظ وحنق : إنك مصر يا سيدى المفتش على ان لا تجد وجهاً للغرابة في أي شيء أشير اليه .

فقال المفتش وعلى شفتيه إيماسامة استخفاف :

- إنني أرى يا مس بيدنجفيلد إنك فتاة واسعة الخيال تخيلين أشياء لا وجود لها ، وأنا كاترين رجل مشغول .

وأدركت انه يوحى إلي بالانصراف .

وكان في الغرفة ضابط آخررأى ان يتدخل في الحديث قائلاً :

- أرى انه يحسن بمس بيدنجفيلد ان تدللي علينا بما لديها من معلومات .

فقال المفتش ميدوز متهمكاً :

- هيا حدثني بما تريدين .

ولدت بالصمت إذ شعرت ان كرامتي قد أحينت .

وقال المفتش : إنك قررت في التحقيق ان الحادث لا يمكن ان يكون انتحاراً ، فما الذي دفعك الى هذا الاعتقاد ؟ ..

- لأنني رأيت على وجه الرجل قبل ان يقع فوق الأسلاك الكهربية دلائل الخوف والفزع ، فما الذي أخافه ؟ .. لست انا بالطبع ، ولكن ربما كان هناك رجل يتمشى على الرصيف هو الذي أثار رعبه .

- ولكنك لم تري هذا الرجل ؟ ..

- كلا ، فاني لم أدر رأسي . وب مجرد ان رفعت الجثة من فوق القضايان تقدم رجل من بين صفوف المهاجرين ، ومضى يفحص الجثة فعقب المفتش في جفاء : هذا أمر طبئي .

- ولكن هذا الرجل لم يكن طبيعياً.

فتبعدت الدهشة في وجهه وتساءل :

- وكيف عرفت هذا يا مس بيدنجفيلد؟ .

- أثناء الحرب كنت أعمل مريض في المستشفيات العسكرية ، ورأيت الأطباء وهم يفحصون الجندي ، ولم في ذلك طريقة واحدة لا تكاد تختلف .
كما ان الطبيب يعرف بدراسته ان القلب في الجهة اليسرى من الصدر ، أما هذا الطبيب المزعوم فكان يتحسس النبض في الجهة اليمنى .

- هل فعل ذلك حقاً؟ ..

- طبعاً ، وإن كنت لم أ瘋طن إلى ذلك إلا فيما بعد عندما تخيلت وضع الجثة وموقف الطبيب .

- لعلك واهمة أو خطأ .

- إن الذي أريد أن أقوله هو ان هذا الرجل طبيب كاذب مدع ، ولا شك أن غرضه من فحص الجثة هو الاستيلاء على حفظة القتيل ، ولذلك لم يغير البوليس على حفظة في بيته .

- هل لك ان تصفي الرجل؟ ..

- طويل القامة عريض المنكبين يرتدي معطفاً أسود ، وله لحية صفيرة سوداء مدبوبة ، وفوق عينيه إطار سميك ورأسه منبعج .

فقال المفتش مزبجاً : هذه أوصاف لا تؤدي إلى شيء فمن السهل إتخاذ اللحية والنظارات وسيلة للتشكيك .

وعقاباً له على تشكيكه واستهانته بأقوالي آثرت ان أكتم عنه نبأ القصاصه التي سقطت من الطبيب وهو يبرع خارجاً من المحطة .

الفصل الثالث

بعد شيء من التردد . انطلقت الى بيت اللورد ناسيي صاحب صحيفة
الديلي بادجيت .

كان من المشكوك فيه ان يقابل مثل هذا الرجل الخطير الشأن أي إنسان
يطرق بابه ، ولكنني أخذت الحيوة لذلك ، فأأخذت معنـى بطاقة تحمل اسم
« المركيز دي لومسلي » ، عثرت عليها في بيت مـستر فـليمـنج ، وهو من مشاهير
الصياديـن الذين تردد الصحفـ اسمـهم .

ودون وازع من ضمير او بادرة من الندم سطرت على البطاقة هذه الكلمات :
« أرجوـك ان تـفتح مـسـ بيـدـجـيفـيلـد بـضـع دـقـائقـ من وقتـك » .

وأفلحت الخدعة ، واستقبلـي اللورد ناسيـ على الفور مـعتقدـاً اـنـي سـكريـتـيرـة
الصياديـنـ الشـهرـةـ .

وسـأـلـيـ فيـ اـقـتـضـابـ : ماـ الـذـيـ يـبـغـيهـ المـركـيزـ لـوـمـسـليـ ؟ .. إنـكـ طـبعـاـ
سـكـرـقـيرـتـهـ ..؟

وفي بـرـودـ وـهـدوـهـ أـجـبـتـ :

ـ أـرـيدـ أـبـداـ بـأـنـ أـقـولـ بـأـنـيـ لـأـعـرـفـ المـركـيزـ دـيـ لـوـمـسـليـ ، وـهـوـ أـيـضاـ
لـأـعـرـفـ شـيـئـاـ عـنـيـ ، وـالـبـطـاقـةـ الـتـيـ بـعـثـتـ بـهـاـ إـلـيـكـ أـخـذـتـهاـ سـرـاـ مـنـ الـبـيـتـ الـذـيـ
أـقـيمـ فـيـهـ ، أـمـاـ الـكـلـامـ الـمـسـطـورـةـ عـلـىـ الـبـطـاقـةـ فـاـ الـتـيـ كـتـبـتـهاـ بـنـفـسـيـ . وـقـدـ

فعلمت هذا لأنني أردت أن أقابلتك لأمر هام.

وحلق في المليونير برهة ، وخيل إلى لحظة أنه بهم بأن يصرخ في وجهي ويطردني من بيته ، ولكنـه أخيراً ازدرد ريقـه مرتين ، وخطـبني في هدوء قائلـاً :

ـ إـنـي مـعـجـب بـشـبـات أـعـصـابـك أـيـتها الشـابـة .. وـالـآنـ هـاـ أـنـتـ ذـيـ قـدـ قـاـبـلـتـي ، فـانـ رـاقـ ليـ حـدـيـثـكـ فـسـوـفـ أـمـنـحـكـ دـقـيـقـتـيـنـ منـ وـقـيـ .

فـأـجـبـتـ : إـنـهـاـ كـافـيـتـانـ جـداـ ، وـسـوـفـ يـشـيرـ حـدـيـثـيـ اـهـتـامـكـ .. انهـ يـتـعـلـقـ بـلـفـزـ فـيـلاـ الطـاحـونـةـ .

وـفـيـ إـيـجازـ سـرـدـتـ عـلـيـهـ كـلـ ماـ لـدـيـ مـعـلـومـاتـ عنـ حـادـثـ قـتـيلـ النـفـقـ ، فـلـمـاـ فـرـغـتـ مـنـ حـدـيـثـيـ سـائـلـيـ فـجـأـةـ :

ـ وـمـاـ الـذـيـ تـعـرـفـيـنـهـ عـنـ شـكـلـ الرـؤـوسـ الـآـدـمـيـةـ فـاـنـكـ ذـكـرـتـ لـيـ انـ رـأـسـ الطـبـيـبـ المـزـعـومـ كـانـ مـنـبـعـجـاـ .

وـذـكـرـتـ لـهـ انـ أـبـيـ كـانـ مـنـ مشـاهـيرـ رـجـالـ الـحـفـريـاتـ وـعـلـمـ الـأـجـنـاسـ ، وـانـ هـذـاـ كـانـ مـصـدـرـ خـبـرـيـ .

ـ إـنـ مـاـ لـدـيـكـ مـنـ مـعـلـومـاتـ ضـئـيلـ غـيرـ قـاطـعـ ، وـلـاـ يـكـنـ اـنـ تـتـعـذـهـ أـسـاسـاـ لـخـطـةـ نـسـيـرـ عـلـىـ هـدـاـهـاـ .

ـ إـنـيـ أـعـلـمـ هـذـاـ ..

ـ إـذـاـ فـمـاـ الـذـيـ تـبـغـيـنـ مـنـيـ ؟ ..

ـ أـرـيدـ اـنـ تـعـيـنـيـ مـخـبـرةـ بـصـحـيـفـتـكـ لـيـتـسـفـيـ لـيـ مـتـابـعـةـ الـأـمـرـ ، وـالـتـحـرـيـ عنـ خـفـاـيـاهـ .

ـ لـاـ يـسـعـيـ اـنـ أـفـمـلـ هـذـاـ فـانـ لـدـيـ مـحرـراـ خـاصـاـ يـتـولـيـ مـثـلـ هـذـهـ الشـؤـونـ .

ـ وـلـكـنـ لـيـسـ لـدـيـ مـعـلـومـاتـ .

ـ وـهـلـ تـحـفـظـيـنـ بـشـيـءـ آـخـرـ خـلـافـ مـاـ ذـكـرـتـهـ لـيـ ؟ ..

ـ فـلـمـاـ أـوـمـأـتـ إـيـجابـاـ نـسـاءـ : وـمـاـ هـذـاـ الشـيـءـ يـاـ بـرـىـ ؟ ..

— عندما استقل الطبيب المزعوم المصعد ليخرج الى الشارع سقطت من جيبيه قصاصة من الورق ، فما كان مني إلا ان التقطتها ، وكانت تفوح منها رائحة النفالين ، أي نفس الرائحة التي كانت تسبّع من معطف القتيل ، فأدركت على الفور ان الطبيب استولى عليها من جيب القتيل . وكان مسطوراً على الورقة بضعة أرقام وكلمات

إذا دعينا نرى هذه القصاصة .

ومن إلي يده فقلت باسمة :

إنهما « سري » الذي أحتفظ به لنفسي .

واستطرد اللورد : إسمعي . يمكنك أن تتبعي البحث ، فإذا اهتديت إلى شيء ذي أهمية فإبعشي به إلي ، وعند ذلك أقرر ما إذا كنت تصلحين حمراء في الدليلي باديحيت أم لا .. يجب أولاً أن تقدمي إلي شيئاً مفيداً .

وبعد لحظات كنت في الطريق وقد استطاعني الفرح .

الفصل الرابع

ما إن عدت إلى البيت حتى أخرجت القصاصـة التي وقعت من الطبيب المزعوم ، وانكببت عليها أتأملها .

كانت هناك خمسة أرقام ، كما كانت هناك نقطة بعد الرقمين الأولين من ناحية اليسار .

وغمغمت أقول لنفسي :

- ١٧ ثم ٢٢ ثم ١ ، ولكن أي معنى لهذا ؟ .. إنها أرقام بلا معنى .

ثم عدت أجمعها : ١ + ٨ = ٧ + ١ ثم ٨ = ٢ + ٢ + ١ = ١٣ .

وأردفت أخاطب نفسي : والمعدد ١٣ رقم منحوس ، فهل أراد الطبيب المزعوم أن يقدم إنذاراً ؟ .. كان أولى به أن يكتب الإنذار واضحاً ، اي رقم ١٣ مجرداً .

ثم لاحظت أن هناك مسافة فراغ صغيرة بين الرقم ١ والرقم ٢ ، فهل لذلك الفراغ معنى ؟ .. وبدأت أولي اهتمامي للكلمات المسطورة على القصاصـة .

كانت الكلمة هي « قصر كيلوردن » ، وهذا دون شك اسم مكان ما ، فلعله بيت إحدى الأسرات الأرستقراطية ، فما الذي ترمي إليه هذه العبارة ؟ .. وربما خطأ أو غائب ؟ .. رجل يطالب باللقب ؟ .. كنز مدفون ؟ .. او ربما كان القصر مهدمًا خرباً

وأخذت بنظرية الكنز المدفون ، فالأرقام عادة تدل على عدد الخطوات التي يمشيها الإنسان أماماً أو يساراً أو يميناً لكي يصل إلى الكنز المخبوب ، ولكن الأهم من هذا أن أعرف أين يقع قصر كيلموردن .

ومضيت إلى المكتبة وعدت بعد ساعة أحمل مجموعة من كتب الدليل التي تتحدث عن تاريخ النبلاء والقصور الأنوية العتيقة ، وبدأت أتصفحها بحثاً عن كلمة كيلموردن ، ولكني لم أعثر فيها على أثر لهذه الكلمة .

وخطرت لي فكرة أخرى . ربما كان هذا المكان فندقاً أو مقهى فإذا كان الأمر كذلك فسوف أجده مشقة كبيرة في الالهادء إلى المكان ، إذ يستحميل علي أن أرتد لندن بما فيها من شوارع لا حصر لها سعياً وراء هذا المكان : قصر كيلموردن ، ثم ما أدراني أن هذا المكان الجھول في لندن وليس في مدينة أخرى ؟ ..

واستولت على الحيرة ، ولم أعد أدرى كيف أتصرف .

وخطر لي أنه لا بد لي أن أزور قبل كل شيء مكان الجريمة وذهبت إلى مكتب السفارة فعروا علي قائمة بالبيوت الخالية ، ولكنهم لم يذكروا من بينها « فيلا الطاحونة » .

- ليس لديك شيء آخر ؟

وأجاب الكاتب في شيء من التردد :

-- كلاماً .. ولكن الواقع أن لدينا ذلك البيت المعروف باسم فيلا الطاحونة .
- أتعني البيت الذي عثروا فيه على امرأة مخنوقة ؟ . حسناً .. أعطني تصريحًا بزيارته ، فإنه إن أعجبني فلا شك انهم سيخفضون إيجاره مراعاة لهذه الظروف ، وأكون أنا الرابحة .

وبعد نصف ساعة كنت أطرق باب مسر جيمس المشرف على فيلا الطاحونة .

وسألته : ألم تقرئي نبأ الفاجعة التي وقعت هنا ؟

- بل قرأتها ، ولكني لا أبالي .. إذا أعجبني فمن أورده في ان استأجره .

- إنك في الحق فتاة شجاعة .
واستطردت تتحدث عن القاتل :

- إنه رجل أنيق الشباب حلو المعاشر لطيف الحديث . وكان يرتدي سترة
رمادية حسنة التفصيل ، وله مشية عسكرية ، ولا شك أنه كان جندياً .

- ولكن ما شأنه بهذه المرأة حق بقتلها ؟

- من يدرى ؟ .. لعل هذه المرأة الأجنبية كانت صديقته ، ثم خاتمه
وغدرت به .

- أ كانت شقراء أم سوداء الشعر ؟ ..

- بل كانت ذات شعر أسود ، ولكن وجهها كان شديد البياض . ولها
شفتان رفيعتان مضمومتان تدلان على القسوة .

- وهل كانت تبدو عصبية محتاجة للأعصاب ؟

- بل على العكس كافت هادئة ، ولا تقاد الابتسامة حرايل شفتيها .

- وسير اوستاس بيذلر صاحب البيت ، أما زال في مدينة كان ؟

- لقد حضر بعد سماعه بالمسألة ، وفي صحبته سكرتيره مساتر باجييت الذي
ضاعف أجيري حق لا استقيقيل .

- وما هي المدة التي أمضتها القاتل داخل البيت ؟

- إنه لم يلبث فيه أكثر من خمس دقائق ، ثم جاء إلى يحمل المفاتيح ، ولم
أفطن إلا ذاك إلى أنه كان بادي الانفعال والانزعاج .

وكنت حريرصة أن أوجه إليها أسئلتي بطريقة عارضة حق لا تفطن إلى ابني
أقوم باستجوایها ، ولكنني وجدتني مضطربة إلى أن أوجه إليها هذا السؤال :

- ولكن ما شكل رأسه ؟ .. أهو مفلطحة أم منبعة ؟

- لا هذا ولا ذاك .. إنه رأس عادي الشكل كغيره من الناس .

ثم ناولتني المفاتيح ، وذهبت إلى فيلا الطاحونة وأنا أفكر فيها سمعت منها
وفيها رأيت بعيوني

إن الأوصاف التي أدلت بها مسز جيمس لا تتطبق على قتيل النفق ، فهو
إذاً لم يكن هو الذي دخل في أعقابها .

ولم يكن لدى شك في أن قتيل النفق اتفق مع المرأة الأجنبية على اللقاء
في فيلا الظاحونة لسبب ما ، وحصل كل منها على تصريح بزيارة البيت .
ولكن حدث وهو ينتظر القطار ليتحقق بها أن لمح الطبيب المزعوم ، فاستولى
عليه الرعب لأن يتبينها معرفة سابقة ، وسقط على القضبان ومات مصعوباً
بالتيار الكهربائي . وأسرع الطبيب المزعوم إلى الفيلا ، وفاجأ المرأة وقتلها .

كانت هذه هي نظرية ، فهل أستطيع أن أقيم الدليل على صحتها ..
ودسست المفتاح في ثقب الباب وفتحته ودخلت ، وشعرت برجفة ورعب ،
فقد كان يخيم على البيت شبح الموت .

الفصل الخامس

تناولت مفكري من حقيقتي ، وخططت عليها بالقلم الرصاص رسمًا كروكيًا
لغرفة الجرية وأبوابها ومنافذها .

وفيما أنا أعيد القلم إلى الحقيقة انفلت مني ونفذ من تحت باب دولاب صغير
مشيد في الجدار تحت النافذة . وفتحت باب الدولاب فتخرج القلم مرة أخرى ،
واستقر في أحد الأركان ، فمددت يدي إلى داخله لمحسن المكان بحثاً عن القلم
ولست شيئاً فأخرجه ، فإذا به لفافة فيلم اسطواني الشكل .

وتساءلت نفسي : أيكون فيلم قدماً ملوكاً لصاحب البيت سير أوستاس
بيدلر نفسه في الدولاب ، أم يكون هو الشيء الذي جاءت المرأة الأجنبية إلى
البيت ، تم القاتل في أثرها ، لكي يبعثا عنه ..

وتساءلت : من الذي أودع الدولاب هذا الفيلم؟ .. أهي المرأة أم
الرجل ..؟

وذكرت أن محتويات حقيقة القتيلة كانت سليمة لم تمس ، فلو أنها فتحت
أثناء عراكها مع القاتل وانزلق منها الفيلم لكان محتملاً جداً أن تنزلق منها
أيضاً بعض قطع النقد المعدنية . ولما كان هذا لم يحدث فأرجح الظن إذاً أن
الرجل هو الذي وضع الفيلم في الدولاب .

وشئت الفيلم ، فإذا رائحة النقاتلين تفوح منه بشدة ، كما فاحت

من قبل ، من معطف القتيل ، ومن القصاصة التي سقطت من يد الطبيب المزعوم .

وعلّت على قطعة صغيرة من القماش عالقة بمحافاة الدولاب ، فعرفت أنها هي مصدر هذه الرائحة .. فهل يكون قتيل النفق هو الذي أودع في الدولاب الفيلم ؟

ولكن لا .. إن الطبيب المزعوم هو الذي استولى على الفيلم من جيب قتيل النفق كما استولى على قصاصة الورق ، وقد انزلق منه الفيلم إلى الدولاب أثناء عراكه مع المرأة .

وأعدت المفاتيح إلى حارسة الفيلا ، ورجعت إلى المدينة . وفي البيت عدت أفحص قصاصة الورق من جديد ، واحاول أن أجده لارقامها و كلماتها تفسيراً جديداً .

فلنفرض أن هذه الأرقام ١٠٢٢٠١٧ تمثل تاريخ يوم معين ، فيما يكون هذا اليوم ؟ . ألا يجوز أن يكون اليوم السابع عشر من الشهر الأول أي شهر يناير سنة ١٩٢٢ ولا معنى للرقم ٢٢ أو اليوم الثاني والعشرون من شهر يناير ولا معنى للرقم ١٧

ولكن يجحب أن أهتمي سريعاً إلى هذا المكان المسمى « قصر كيلموردن » فاننا اليوم في الرابع عشر من يناير سنة ١٩٢٢ ، فلم يبق على اليوم الموعود يوم ١٧ إلا أياماً ثلاثة .

وفي ساعة مبكرة من صباح اليوم التالي ذهبت مبكرة إلى محل كوداك ، وطلبت من العامل أن يحمس لي الفلم ، فلما فحصه نظر إلى في استغراب وقال :

- لا شك إنك أخطأت يا سيدتي فهذا هو الجزء غير الحساس من الفيلم .

وغادرت محل وأناأشعر بالخيبة والفشل .

وفيها أنا راجمة إلى داري لحت في إحدى واجهات المكاتب السياحية

صورة سفينة تشفل الواجهة وقد كتب تحتها :
«الباخرة قصر كيلوردن» .

إذن فهذا هو «المكان المعهول» الذي حفظت قدماي بمحنة عنه؟ .

ودفعت باب المكتب وسألت عن مواعيد الباخرة «قصر كيلوردن» وأنا في الجواب ، بأنها ستغادر ميناء ساو شمبتون يوم ١٧ الجاري في إلى كيب تاون .

ولم أتردد لحظة واحدة .. خاطرت بكل ما أملك من مال لأحجز
تذكرة على الباخرة كيلوردن .

الفصل السادس

مقططفات من مذكرات

سير اوستاس بيدلر عضو البرلمان

سکرتيري الخاص جاي باجيit شاء أنت يدفع بي الى خضم الأحداث
العنيفة المثيرة ، فقد دخل على ذات يوم وبين يديه برقيمة مفوضة وعلى
وجهه امارات العبوس .

وباجيت ان كفت لا تعلم سکرتير مجرد نشيط لا يفكر في شيء
 سوى العمل .

وفي الأسبوع الماضي أخذت يتحدث عن فلورنسا وجمال جوها وروعـة
تماثيلها وـة . فخطر لي أن أريح نفسي منه ولو أسبوعاً واحدـاً ،
فابتدرته بقولي :

غداً ستسافر يا صديقي العزيز الى فلورنسا وأستانكفل يجميـع نفقـاتك .
وكانت نفقـاته ثـناً رخيـصاً للراـحة التي شـعرت بها اثنـاء غـيـابـه ، فقد فعلـت
خلال هذا الأسبوع كل ما يحلـو لي ، غير واقـع تحت سيـطرـة سـکـرتـير يوجـهيـ

ويـرشـدـني الى ما يـحبـ أن أـفـعلـ أو لـأـفـعلـ .
ولـكـنـيـ حينـ فـوجـئـتـ بهـ ذاتـ صـبـاحـ والـبرـقـيةـ فيـ يـدـهـ عـرـفـتـ أنـ عـهـدـ الـحرـيةـ

قدـ اـنـتـهـىـ . وـقـالـ ليـ :

— إنها من مارلو ! . لقد قتلت امرأة في فيلا الطاحونة
فضربت كفاف بكتف وقلت وقد ثار اهتمامي
— ولماذا في بيتي أنا بالذات دون الناس أجمعين ! .. ولكن من الذي قتلها .
ومن تكون هذه المرأة ؟ ..

— لم يرد في البرقية شيء عن هذا .. وأظن انه يجب ان نعود الى المختلثا
على الفور ، إذ لا بد ان تستمع الشرطة الى أقوالك .

وكان على حق في هذا ، فلم يكن أمامي مفر من أن اقطع رحلتي وأتخلى عن
إجازتي في الريفيرا .

وسافرت إلى المختلثا ، وهدأت من ثأرة مسز جيمس ، حق لا
تبخل عن حراسة فيلا الطاحونة ، ولكي أرضيها وأغرتها ، ضاعفت
أجرها .

وفي النادي التقى بأوجستوس ميلاري أحد كبار موظفي وزارة الخارجية
ومال إلى أذني وقال همساً :

— لقد اكتشفنا أخيراً وثائق خطيرة ، يجب ان نسلمها فوراً إلى الجنرال
سمطس ، ولكن يكاد يكون من المستحيل ان نفعل هذا خشية ان يتعقب
الجوايس مندوبنا .

ولوح أوجستوس ميلاري بيده وهو يقول :

— هل صحيح ما بلغني ، من انك تنوی ان تسافر قريباً ، إلى جنوب
افريقيا ؟ .. إنك مساهم ، فيها أعلم ، في بعض الشركات الكبيرة ، في
روديسيما .

فأجبت : أصبت ، وفي نفي أن أزور شركاتي بعد شهر تقريباً .

— ألا يمكنك ان تتعجل بهذه الزيارة ؟ .. ألا يمكنك ان تقوم بها هذا
الأسبوع بالذات ؟ .

— أستطيع طبعاً ، ولكن ما الذي يدعوني إلى هذا ؟

- إنك بذلك تؤدي لبلادك خدمة جليلة . يريـد الوزير ان يعهد إليك بالوثائق التي ينبغي تسليمها للجنـرال سـطـس .. إن الجوـاسـيس لن يـرـقـابـوا في أمرك لأنك رـجـل أـعـمال لا شـأـن لـك بـالـسـيـاسـة

فـتـرـيـشـتـ بـرـهـةـ أـقـدـبـ الـأـمـرـ ، ثم قـلـتـ :

- لا بـأـسـ ... لـقـدـ قـبـلـتـ .

- شـكـرـاـ لـكـ ياـ بـيـدـلـ .. إـنـيـ لـكـ هـذـهـ الـمـنـةـ . غـدـاـ سـأـبـعـثـ
إـلـيـكـ بـالـلـفـافـةـ مـعـ رـسـوـلـ خـاصـ ، وـعـلـيـكـ اـنـ تـسـلـمـهاـ إـلـىـ الـجـنـرـالـ سـطـسـ يـدـاـ
بـيـدـ ، وـبـالـبـاـخـرـةـ «ـ قـصـرـ كـيـلـمـورـدـنـ »ـ سـتـبـرـحـ الـمـيـنـاءـ يـوـمـ السـبـتـ الـقـادـمـ فـاحـبـرـ
لـكـ مـقـصـورـةـ فـيـهـاـ .

وـغـادـرـنـاـ النـادـيـ مـعـاـ ، وـوـقـفـنـاـ عـلـىـ الإـفـرـيـزـ قـبـلـ اـنـ نـفـتـرـقـ ، وـهـوـ
يـكـرـرـ عـبـارـاتـ الشـكـرـ ، وـيـذـكـرـنـيـ بـأـنـ أـحـبـرـ لـيـ مـكـانـاـ عـلـىـ الـبـاـخـرـةـ «ـ قـصـرـ
كـيـلـمـورـدـنـ »ـ .

وـفـيـ مـسـاءـ الـيـوـمـ التـالـيـ جـاءـ إـلـىـ بـيـقـيـ رـجـلـ يـطـلـبـ مـقـابـلـيـ ، وـذـكـرـ خـادـمـيـ
أـنـهـ مـوـفـدـ إـلـيـ مـسـتـرـ مـيـلـارـيـ بـوزـارـةـ الـخـارـجـيـةـ

وـقـالـ لـيـ الزـائـرـ :ـ لـقـدـ أـوـفـدـنـيـ مـسـتـرـ مـيـلـارـيـ لـأـصـحـبـكـ إـلـىـ جـنـوبـ اـفـرـيـقيـاـ
بـصـفـيـ سـكـرـتـيرـاـ لـكـ .

- لـدـيـ سـكـرـتـيرـيـ الـخـاصـ

.. وـلـكـنـهـ مـتـغـيـبـ الـآنـ

- هـذـاـلـئـهـ مـصـابـ بـالـصـفـرـاءـ

- وـهـلـ أـنـتـ عـلـىـ يـقـيـنـ ، حـقـاـ ، مـنـ أـنـهـ مـرـيـضـ بـالـصـفـرـاءـ ؟ـ
إـنـ مـسـتـرـ مـيـلـارـيـ ، يـتـوقـعـ أـنـ يـهـاجـمـ الـجـوـاسـيسـ سـكـرـتـيرـكـ لـيـزـيـحـوـهـ مـنـ
الـطـرـيـقـ ، وـلـذـلـكـ يـرـيدـ مـنـكـ اـنـ تـصـطـبـحـنـيـ لـأـكـونـ بـدـيـلاـ لـهـ وـلـأـنـوـلـيـ فـيـ الـوقـتـ
ذـاـتـهـ السـمـرـ عـلـيـكـ .

فـقـلـتـ فـيـ اـسـتـسـلـامـ :ـ فـلـيـكـنـ إـذـنـ .

- ولكن أرجوكم أن تكتم عن كل إنسان إني سأراقبكم
النهر ببرأ بياني وبينكم ، كما أرجوكم أن تعد جواز السفر الخاص بي ، وأن
تذكرة فيه إني سكرتيركم .

وحين هم بالانصراف سأله :

- وبهذه المناسبة ما هو اسمك ..؟

فأجاب : أظن ان « هاري رايبرون » يمكن ان يكون اسمه
 المناسباً لآفة .

الفصل السابع

(آن بيدنجفيلد تتبع سرد قصتها)

ليس من الغريب ان يصاب المرء بدور البحر ، فأسرعت إلى مقصوري
وابشت فيها ثلاثة أيام طريحة الفراش ، وقد نسيت المهمة التي سافرت
من أجلها .

وفي اليوم الرابع لللازم في الفراش في مقصوري ، جاءت إلى الوصيفة
تحثني على ان أصعد إلى السطح لاستمتع بالهواءطلق ، فاستجابت إلى
نصحها ، وتدبرت بأغطية ثقيلة ، وتهالكت فوق أحد مقاعد البحر ، وأنا
واهنة ضعيفة بادية الإعياء .

وأقبل علي أحد الركاب يحييني وقال :
ـ لو انك تطلعت إلى وجهك في المرأة لرئت لنفسك ، فانك مصفرة
الوجه على غاية من الضعف .

هذا صحيح فاني أشعر انني متعبة جداً .

فاستطرد : غداً ترسو الباحرة في الخليج ، وسوف أصحبك في القارب
إلى الشاطئ .

ولبست معي بعض دقائق يحاول ان يسري عني بالحديث ، ثم مضى منصرفًا

ورحمني من ثرثرة .

وجعلت أتطلع إلى المسافرين . واسترعت بصري سيدة في نحو الثلاثين من عمرها ، وفي تصفيف شعرها لمسة من ذوق باريس ، وكان في خطوها الثابت ما يوحى بأنها تعتقد أنها ربة السفينة وما لكتها .

وتنبأت لو اذني تعرفت إليها لأبادها الحديث .

وعند ظهر اليوم التالي القت الباحرة مراسيمها في خليج ماديرا ، وكنت لا أزال أحس شيئاً من الاعياء ، فاكتفيت بالتلطع إلى الشاطئ .

ونزلت الحسناً المتعالية إلى الشاطئ ، وحين رجعت كان في صحبتها رجل طويل القامة أسود الشعر ملوح البشرة ذو خطو عسكري ، وكان قد سبق لي أن لحته في الصباح الباكر يتمشى على سطح المركب .

وحين حلت إلى وصيفة الباحرة بطانية إضافية عندما اشتدت برودة الجو سألتها عن تكون هذه الحسناً المتعالية الآنية .

وأجبتني : إنها إحدى سيدات المجتمع الشهيرات .. ليدي كلارنس بليير ، ولا شك أنك رأيت صورها كثيراً في الصحف وقرأت عنها .

وكانت ليدي بليير معروفة بأنها من أكثر النساء أناقة ، وإنها إحدى نجمات المجتمع ، ولاحظت أن جميع الرجال في السفينة يحومون حولها ، ويحاولون أن يتقربوا إليها ، ولكنها كانت تصدم في لطف ورقه .

وفوجئت صباح اليوم التالي بليدي بليير تتوقف عند مقعدي ، وتسألني عن صحيق راجية أن أكون قد أصبحت أحسن حالاً ، فشكرتها على تلطيفها ومحاميتها .

وقالت ممز بليير وهي تجلس على كرسي مجانبي :

- إن الهواء في أغلب مقصورات السفن فاسد ، فهل مقصورتك داخلية أم تشرف على الماء؟ ..
فإذا أجبتها بأنها مقصورة داخلية قالت :

- يا لك من مسكنة !.. ولم لا تبدلين بها غيرها ؟ .. لقد غادر السفينة كثير من الركاب في ماديرا ، فخللت مقصورات كثيرة . تحدي الى المراقب ونحن على مائدة النساء فينقلتك الى مقصورة أخرى .. إنه شاب لطيف وقد نقلني إلى مقصورة جميلة عندما أفضيت اليه برغبتي .

ثم دست يدها تحت ذراعي وهي تقول :

- هيا تحاملي على نفسك واستندي إلى ذراعي لمشي قليلا ..

ولحق بنا زميلها الكولونيل ريس بعد لحظات فائلا :

- إن قمة جبل تينيريف ترامة من الناحية الأخرى من السفينة ، فيحسن بنا ان نلتقط لها صورة على سبيل التذكرة .

وكان قمة الجبل مغطاة بالثلوج فأسرعت ليدي بليير الى " مقصورتها لتأتي بالآلة التصوير .

وعادت بالكاميرا خلال لحظات ، وهلت بأن تلقط بعض الصور للجبل ،

ولكنها ما لبثت ان غفرمت :

- وأسفاه !.. لقد فرغ الفيلم ..

فقال الكولونيل يازحها : هكذا الطفل دانما ، لا يعرف كيف يستفيد من اللعبة التي بين يديه .

فضحكت ليدي بليير وقالت : ولكن الطفل ما زال يحتفظ بفيلم آخر احتياطي .

وأخرجت فيلماً جديداً من جيب سترتها ، ولكن هزة فجائية من المركب أدت الى اختلال توازنها فتشبتت بسياج السفينة ، وأفلتت أصابعها الفيلم فطار عبر السياج .

وتساءلت ليدي بليير : ترى هل سقط في البحر ؟ .. أم استقر في الطابق السفلي ؟ ..

وأجاها الكولونيل ريس :

- أغلب الظن انه وقع في الماء .

وفي هذه اللحظة دوى نفير الطعام يدعو الركاب الى تناول الفطور ،
فهبطوا جميعاً الى قاعة المائدة

وطلبت من المراقب ان ينقلني الى مقصورة أخرى ، تشرف على
البحر بدلاً من تلك المقصورة الداخلية الخانقة التي أشعلها ، فوعد بتلبية
رغبي

وأثار انتباхи ، بين الجالسين الى الموائد ، رجل لم المعه من قبل ،
كان طويلاً القامة ، أسمى الوجه ، له سخونة ترقص عليها معالم القسوة والشر
والخشونة

وكان مراقب السفينة بشاركتي مائدةي فاستفسرت عن الرجل فقال :

انه سكرتير سير اوستاس بيدلر ، وكان قد لزم مقصورته منذ بداية
الرحلة مصاباً بـدوار البحر ، وهو يدعى باجيت ولسير اوستاس
سكرتير كان ، ولكنه لم يظهر حتى هذه اللحظة ، إذ أنهكه الدوار
فلازم غرفته

إذن فسير اوستاس بيدلر من بين ركاب هذه البساخرة .. إنها صدفة
عجبية ، ولكنها صدفة رائعة سوف تليع لي مقابلة صاحب البيت الذي
خففت فيه الحسناه الأجنبية .

واستطرد المراقب وسير اوستاس هو ذاك البدن الجالس إلى المائدة
يجانب الربان .

وتأملت وجه السكرتير باجيت ، وازدادت مقتاً له .. وكان له وجه
صاحب ، ورأس منبعج ، ومعالم سخنته تثير التقرز لما فيها من سمات الشر .

وما أن غادر مائده حتى كنت في أعقابه ، وسمعته يقول لسير اوستاس :

- سأطلب منهم أن يغيروا المقصورة في الحال بأخرى أكثر اتساعاً ،
أو ان يعطونا مقصورة اضافية ، فان العمل مستحيل في مقصورتنا والحقائب

مكرونة فيها بهذا الشكل.

شم تابعت طریقی فلم آتبین ما دار بینهایا من حدیث بعد ذلک .

ووجدت الوصيف المكلف بتصويري منهمكاً في نقل حاجياتي ،

فایتمدرنی بقوله :

— ان مقصورتك الجديدة التي ستنقلين اليها رائعة .. المقصورة رقم ١٣ .

- رقم ١٣٠. يا إلهي !. إنني أتشاءم من هذا الرقم .. ألا توجد

مَقْصُورَةٌ أُخْرَىٰ خَالِيَّةٌ؟

ففكر الوصيف هنديه ثم قال :

- نعم .. المقصورة رقم ١٧ .. لقد خلت هذا الصباح ولكنها خصصت شخص آخر ، غير أن متاعده لم ينقل اليها بعد ، وما أحسب انه سيرفض أن ينزل لك عنها

وأسرع الوصيف إلى المراقب يستأذنه في نقل متاعي إلى رقم ١٧ ،
وما لبث أن عاد متهلاً فرحاً وقد أحرز الموافقة ، وقادني من فوري إلى
مقصورتي الجديدة .

وفي هذه اللحظة ظهر ببابي ذو السمعنة المتوجحة ، وأصفي به باجيت سكرتير اوستاس ، وقال :

- ولكن معذرة يا آنسة .. إن هذه المقصورة مبحوزة لسير أوستاس
مبدل ..

فأجابه الوصيف . لقد حجزت لكم رقم ١٣ بدلاً منها ، وهي أوسع وأرحب .

— ولكن رقم ١٧ هي المحبوزة باسمنا ، وأنا لا أريد سواها .

وارتفع صوت حديثه :

— عفوأً أهلاً السادة .. إن رقم ١٧ هي مقصوريتي .

وكان القـادم الجديد هو قس شاظرني الطعام ذات مرة وصداع رأسى

بجديشه الممل المتكرر عن ضرورة نشر المسيحية بين الافريقيين السود المساكين .

ورد عليه باجيit قائلاً :

ـ ان رقم ١٧ محجوزة لسير اوستاس بيذر .

وقال الوصيف يخاطب القس :

ـ اذلك يا سيدى ستنزل في رقم ٢٨ .

ـ افي مصر على رقم ١٧ فقد وعدت بأن تحجزها لي .

وهكذا كنا ثلاثة نتنازع على المقصورة رقم ١٧ : أنا ، وباجيit سكرتير سير اوستاس بيذر ، ثم القس شيستر .

وأخذنا نتجادل واشتد بيننا النقاش وعلت أصواتنا ، فما كان مني إلا ان انسحبت فجأة ، وأسرعت إلى المراقب ، وبذلك الصوت النسائي الرقيق الذي ينبض إغراء قلت له :

ـ إذلك وعدتني برقم ١٧ ، ولن تخذلي طبعاً .

ولم يخدلي الرجل طبعاً ، وكيف يفعل وقد كانت نظراتي إليه تفيض أنوثة وإغراء .

وفي المساء ذهبت إلى مقصوري الجديدة رقم ١٧ فوجدت الوصيف ينتظرني ببابها ووجهه متجمماً ، وابتدرني :
ـ إن رائحة كريهة جداً تفوح من مقصورتك ، ولا أدرى كيف حدث هذا يا سيدتي .

وفعلاً كانت الرائحة النتنة لا تحتمل ولا تطاق ، وبحكم عملي كممرضة في اثناء الحرب أذرت على الفور ان هذه الرائحة ، رائحة مادة «الحلبيت» ، فلن يكون ذلك الذي دس الحلبيت في غرفتي ، حق يحملني على التخلص منها ؟ .. لا شك انه واحد من الاثنين اللذين نازعني على عليها : باجيit أو القس شيستر ؟ .

فما هو السر في هذا التشبث بالقصورة رقم ١٧؟
وبحاجة بروز الرقم ١٧ في ذهني وأثار الكثير من الاتهامات.

المقصورة رقها ١٧ - والبادرة أبحرت يوم ١٧، ثم القاصدة التي وقعت من الطبيب المزعوم ومسطور عليها نفس الرقم أي ١٧٠٢٢٠١٠ مع اسم البادرة «قصر كليموردن»، وغداً هو يوم ٢٢ من الشهر الأول أي يناير.

فهل المقصود برقم ١٧ هنا هو المقصورة رقم ١٧؟ لا بد لهذه المقصورة سرًا خفيفاً، فما عسى أن يكون هذا السر؟

الفصل الثامن

في تلك الليلة أويت إلى فرائي مبكرة مدعية اني مصابة بصداع شديد ، ولكنني لم أسلم نفسي إلى النوم ، بل رقدت في سريري يقظة منتقبة أترقب ما سوف يحدث ، فهذا هو يوم ٢٢ المسطور على قصاصة الورق .

وأرسلت الساعة دقاتها . إنها الواحدة بعد منتصف الليل .. وخفق قلبي بشدة .

ولكن مهلا .. ما هذا؟ .. وقع خطوات سريعة خفيفة توكلض في الممر أمام مقصوري .

ثم فجأة دفع باب مقصوري في عنف ، واقتصر المكان رجل كاد يسقط على وجهه ، ورد الباب وراءه وهتف بي .

ـ انقذني .. أتوسل إليك . انهم في أعقابي .

قفزت من الفراش ، وسحبت حقيبة الضيحة من تحت الحوض ، وأشارت إليه بأن يتوارى تحته ، ودفعت الحقيقة إلى الوراء ، ورفقت غطاءها حتى تمحض جسمه عن النظر ، ثم نفشت شعري ، وملت على الحقيقة وتناولت منها قطعة من الصابون . فلو أن أحداً فتح الباب الآن ورأني منفوشه الشعر وصابونة في يدي لأ يكن اني ساغسل شعري ، ولاستبعد وهذه حالي اني أخفي رجلاً في غرفتي .

وشرع الباب وفتح ، دون أن ينتظر الطارق أذنا ، ورآني أمام المخوض
أغسل شعري والصابونة في يدي .

وحين أدرت رأسِي رأيت إحدى وصيفات الباحرة - وصيفة لم أرها
من قبل .

قالت في احترام : معدرة يا سيدتي .. لقد خيل إلي اذك كنت تنادين .

فأجبت : كلا .. لم أكن أنا دلي .. لقد شعرت بصداع حاد ، فرأيت أن
أغسل رأسِي .

فقالت : لقد أفرط أحد الركاب في الشراب وخشيَنا أن يقتحم مقصورات
السيدات فيزعجهن .

- هذا أمر مزعج .

- إذا اقتحم غرفتك فبادرني بقرع الجرس .

وأغلقت الباب وراءها ، وسحبت الحقيبة ، وأهابت بالرجل أن يخرج ،
ولكنه لم يلب النداء وفاديته مرة أخرى فلم يحب ، وهزّته فلم يتحرك .
لا شك انه أفرط فعلاً في الشراب ، وغرق في النوم . وفيجأة أخذت عيني
بقعة حمراء على أرض المكان .

واستجدها كل قوتي وجررت الرجل إلى وسط المقصورة ، وعرفت انه
لم يكن ميتا ، وإنما كان مغمى عليه ، وتبينت على الفور السبب في اغمائه .

كان هناك جرح صغير غائر تحت كتفه الأيسر .

نزعت سترته ، ومضيت أغسل الجرح بالماء البارد ، فتحرك وانتبه من
اغماءه ، ثم تحامل على نفسه ونهض واقفا ، فقد كان قويا في عنفوان شبابه .

قال لي : شكرأ لك .. آني لا أريد شيئا آخر .

- ولكن يجب أن أضمد جرحك .

- بل يجب أن أنصرف على الفور .

ومشى إلى الباب ، ولكنها ما لبثت أن تونج وكاد يسقط أرضا ، فتلقيته

بين ذراعي وأرقته على الأريكة ، ومضيت أخمد الجرح بيد مدرية حاذقة ،
وحين فرغت من عمله كان قد استعاد حيويته ونشاطه .

وقلت له : والآن حدثني بما جرى .

— يؤسفني أنني لن أستطيع أن أشبع فضولك .

ونهض واقفاً واتجه إلى الباب ، واستقرت يده على المقبض .

وقلت له أتحداه : كان يجب على الأقل ان تشكرني لأنني إنقذت حياتك .

فتأنملي برهة ثم قال في لهجة شرسة :

— أنتي لن أشكرك ، ولكنني لن أنكر فضلك علي ، وفي يوم من الأيام
سأوفيك دينك .

ثم فتح الباب وأولاني ظهره ، وما لبث أن غاب عن عيني وطوطنه
ظلمات المشهد .

الفصل التاسع

حين صعدت إلى سطح الباخرة في ساعة متأخرة من صباح اليوم التالي أطلت
علي مسر بليير تحنيفي بقولها :
- كيف حالك اليوم ؟

وأردفت ليدي بليير : يالك من فتاة مسكونة لطيفة ! .. والآن هيا
حدفي عن نفسك أيتها النورية الحسناء ... ما الذي يدعوك إلى زيارة
جنوب إفريقيا .. ؟

وحدثتها عن أبي ، وكيف كان من كبار العلماء ..
- إذاً فأنت إبنة شارل بيذنخفيك الدائن الصبيت ؟ ..

ثم قالت : ولكن ما بالك متيبة اليوم ؟ .. ألم تناهى جيداً ..
فأجبت بالإيجاب

فاردفت : أنا أيضاً لم أنم جيداً ، فقد أيقظني من نومي في منتصف الليل ،
وصيف أحمق ليجعده إلى الفيلم الذي طار من يدي بالأمس عندما همت بأن التقط
صورة لقمة الجبل . تصورني أن هذا الوصيف الأحمق أنفذه يده من فيجوة
أنبوبة التكثيف وأسقط الفيلم فوق وجهي فصرخت فزعـاً وأنا أحسبه
فأراً أراد ان ينقض علي .

ورأيت الكولونيل ريس مقبلاً علينا فقلت :

- ها هودا رجلك قد جاء

- إنه ليس رجلي ، بل هو مجرد صديق .

فنهضت واقفة وأنا أقول :

- لحظة واحدة رينا الف شعري بوشاح .

ومضيت إلى مقصوري لأعود بالوشاح . على أنني ما كدت أفتح الدرج حتى أيقنت ان يداً عبشت بحاجياتي ، وما القيت نظرة على الأدراج الأخرى حتى أدركت ان اليدي الخفية المحمولة امتدت إليها أيضاً .

ترى من الذي فتش مقصوري ؟ .. وعم كانوا يبحثون ؟

ثم من يكون هذا الرجل الذي افتخـم . مقصوري في جوف الليل مصاباً .
يخرج في كتفه ؟ .. إنني لم ألتـق به أبداً منذ ركبت الباخرة ، فأين كان مختبئاً ؟ .. وهل هو أحد موظفي السفينة أم واحد من الركاب ؟ .. ولماذا هاجـوه وطعنـوه ؟ .

وجلست على حافة الفراش ، ومضـيت أحصـي في ذهـني من يمكن ان يكونـوا محل شـك واسـتباه .

أولاً : - سير اوستاس بيدلر ، فهو صاحـب فيلا الطاحـونة التي وقـعت فيها جـريمة القـتل .

ثانياً : - مستـر باجيـت (سـكرتـير سـير اوـستـاس) ذو السـمعـنة الشـرـيرة ، فـإن إصرارـه العـجـيب عـلـى النـزـول فـي المـقـصـورـة رـقم ١٧ ، أمر يـدعـو إـلـى الـاشـتبـاه .

ثالثـاً : - القـس المحـترـم اـدوارـد شـيسـتر ، فهو أـيـضاً كان مـصـراً عـلـى النـزـول فـي الغـرـفة رـقم ١٧ .

ورأـيت أن أـبـادر بـالـتـحـري عـن هـؤـلـاء الثـلـاثـة وـالـتـحـدـث إـلـيـهم ، عـلـيـ أـكتـشـف خـيـبة طـوـيـاـمـ .

ورأـيت القـس المحـترـم مـسـتـنـداً إـلـى السـيـاجـ يـطلـ عـلـى الـبـحـرـ وـيـتـنـاـول قـدـسـاـ

من الشاي .

وأقبلت عليه أقول : أرجو أن تغفر لي تشبعي بالقصورة رقم ١٧ .

فأجاب في فتور إن المسيحي الصادق اليمان لا ينقم على أحد ولا يمكن أن يحمل له ضئلاً . وكل ما هنالك أن المراقب وعدي بهذه القصورة .

- إن مراقي السفن قوم غارقون في العمل ، وكثيراً ما تختلط عليهم الأمور فينسون وعودهم .

ولما لم يحب أردفت : أتلّك أول رحلة لك إلى جنوب إفريقيا؟ ..

- نعم ، وإن كنت قد أمضيت العامين الماضيين في إفريقيا الشرقية وسط القبائل المتوحشة .

وفجأة راودتني بادرة من الشك : إذا كان القدس المحترم قد قضى سنتين في إفريقيا الشرقية فكيف لم تلوح الشمس بشرت؟ . ذاك شيء يثير الشك .. أتراه قسّاً حقيقياً ، أم أنه مدع يمثل دور القدس؟ .

وفيما أنا أتدبر هذه الخواطر ، رأيت سير أوستناس بيدلر قادماً ، وحين حاذى القدس المخفى على الأرض والتقاط قصاصة ، ناوها إلى الأب شيستر قائلاً :

-- يبدو أن هذه الورقة سقطت منك

ثم تابع طريقه دون أن يفطن إلى ما عرّا القدس من اضطراب ، وإلى أنه كور الورقة في انفعال ، فأي سر كانت تطويه هذه الرقعة من الورق؟ .. لا شك أنه اعتقاد أن سير أوستناس استطاع وهو يقدمها إليه أن يقرأ ما هو مسطور عليها ولذلك شجب وجهه وأضطرب .

والتفت إلى القدس يقول لكي ينفي شكوى :

- إنها مسودة عظة كنت أكتبها .

وكان واضحًا أنه يكذب ، وإن كلماته لم تخدعني .

ثم استأند معي وانسحب مسرعاً .

وبعد أن فرغت من تناول الغداء مضيّت إلى قاعة الاستقبال ، فوجدت ليدي بليير تتناول قهوتها ، وفي رفقتها الكولونييل رئيس وسير اوستاس بيدلر وسكرتيره باجيت ، فانضمّمت إليهم ، وكانوا عندئذ يتحدّثون عن ايطاليا وما بها من تماثيل وتحف رائعة .

وقال اوستاس بيدلر موجهاً الحديث إلى سكرتيره :
- وما رأيك أنت في الإيطاليين يا باجيت ، فانك عائد لتوك من فلورنسا ؟ .

كان سؤالاً عادياً ، ولكن ما ان سمعه باجيت حتى بدا عليه الارتباك وتصرّج وجهه احمراراً ، وغمض بعض كلمات غامضة ، ثم نهض على الفور واستأند منسجحاً .

وقال سير اوستاس ضاحكاً :

- ما أعجب هذا ! .. كلما أشرت إلى فلورنسا في حديثي مع سكرتيري إرتبيك واضطرب ، حتى ليتخيل إلى أنه لا بد أن يكون قد اقترف بجرية قتل أثناء عطلته التي أمضاها هناك
فقالت ليدي بليير : ارجو ان لا يغضبك يا سير اوستاس ان أقول انت له سخنة شريرة ك الرجال المصابات .

وتساءل الكولونييل رئيس :

- هل أمضى في خدمتك وقتاً طويلاً ؟ .

- ثمان سنوات وربما أكثر .. ومع ذلك فان الملك أن تطمئني يا ليدي بليير ، فالقاتل يحاول دائماً ان يكون لطيفاً .. أتذكري مجرم الخطير كريبين ؟ .. انه كما يقولون كان من الطف الناس وأرقهم حاشية .

وسمعنا قرقعة خلفنا ، وحين التفتنا وجدنا ان فنجان القهوة قد وقع من يده عند سماعه اسم مجرم كريبين يتردد في حديثنا ؟ .. أيكون هو نفسه كريبين متنكرًا في زي القسيس ؟

وقالت ليدي بليير :

ـ أعتقد ان رجال الشرطة قبضوا عليه وهو مسافر على احدى البوارح ،
ولكنه استطاع ان يهرب منهم

وتفرق شملنا حين فرغنا من تناول القهوة ، ولحق بي الكولونيل ريس إلى سطح الباخرة وسألني :

ـ لم تتهربين مني يا مس بيدنجفورد لقد بحثت عنك ليلة الأمس دون جدوى لأراقبك .

ـ لقد أويت إلى فراشي مبكرة إذ كنت متعبة .

ـ والليلة؟ .. أتنوين ان تنامي مبكرة؟

ـ بل يسعدني ان أراقبك .

ولست أنكر ، إني كنت أشعر بشيء من الميل ، نحو الكولونيل ريس .

وفي ذلك المساء راقصته عدة مرات ، وفي نهاية السهرة استرخينا على كراسى البحر ، وأخذنا نتسامر

وقال لي في معرض الحديث :

ـ أتعرفين يا مس بيدنجفورد اني أعتقد اذني سبق ان التقىتك بأبيك . لقد كان عالماً عظيمًا ..

ثم أردف :

ـ لقد درست أنا نفسي فيها مضى علم الأجناس . فعندما كنت في فرقة دوروني ..

وأفاض في الحديث عن معلوماته الفنية ، وكان دون شك واسع الاطلاع ،
بيد انه ارتكب غلطة جسيمة ، فقد ذكر ان عصر موس提را كان تاليًا لمصر اوينياسيا ، بينما المكس هو الصحيح ، وهي غلطة لا تصدر من يعرف بدينيات علم الأجناس .

وعندما أويت إلى فراغي دارت بخلدي فكرة طارئة . لماذا أطال
وأسهب في الحديث عن علم الأجناس ، وهو موضوع لا يلائم جلستنا
الشعرية ؟ ..

أراه كان يريد أن يختبرني ؟ .. أراه كان يعتقد أنني امرأة مدعية
وكاذبة أحمل اسمًا غير اسمي ، واني لست آن بيده في ميلد إبنة العالم الشهير ،
فطرق هذا الموضوع ليتأكد من حقيقة أمري ؟ ..

ولكن لماذا ؟ .. ما الذي يعنيه من أمري ؟ .. ولماذا يرتاب
في شيء ؟ ..

الفصل العاشر

(نقلاً عن مذكرات سير أوستام بيدلر)

لقد قت بالكثير من الرحلات البحريه، حق الفت اهتزاز السفن وارتجاجها، أما سكريتيري باجييت فما كاد يحط قدمه في المركب حق أصيب بدور البحر، فلزم مقصورته . أما سكريتيري الثاني فلم أره مطلقاً إذ يبدو انه هو الآخر أصيب بالدور فلم يدرج مقصورته فقط ، فأراحتني من رؤية سخنته ، وهو الذي فرض علي فرضاً ، وهكذا كنت أقفي وقتي مع ليدي بلير وصاحبها الكولونيال ريس .

وبعد ان غادرنا ماديرا زايل جاي باجييت مقصورته ، وأقبل يلح علي ان نشرع في العمل وان اوصل إملاء مذكريني فقلت له :

— وما الذي يدعوني الى ان ارهق نفسي بالعمل الا ان فلا استمتع بهذه الرحلة البحريه الطريفة .

وجاءني في اليوم التالي يقول ان المقصورة مختنقة بالحقائب ، واننا في حاجة إلى مقصورة أوسع

أخذ يلح ويتحف في الرجاء ، فلم أر مناصاً من ان أقره على رأيه لأنخلص منه ، فقال ان المقصورة رقم ١٧ خالية فكلفتة بأن يطلب من الربان ان

يبحجزها لنا .

وفي الصباح التالي أقبل علي متجمهم الوجه وروى لي قصة خرجت منها بأنه لم يفر بالقصورة رقم ١٧ لأن فتاة تدعى مس بيدنجفيلد وقساً يدعى الأب شيستر زاحماه عليها في تشبت وعناد ، وكان ان ظفرت بها الفتاة .

فقلت : لا أهمية للأمر ما دمت قد حصلت على مقصورة أخرى .

- ولكنك طلبت مني ان أحجز باسمك المقصورة رقم ١٧ .

- إن الأمر يستوي عندي ، فكل المقصورات سواه .

- ولكن هناك شيئاً غامضاً يتعلق بالمقصورة رقم ١٧ . لقد ظفرت بها مس بيدنجفيلد ، ولكن رأيت الأب شيستر خارجاً منها هذا الصباح تبدو عليه علامات الاضطراب والخذر كأنما دخل إليها خمسة .

فقلت له غاصباً : لا تنس ان شيستر رجل دين ، وان مس بيدنجفيلد من أشرف المسافرات وأطهرهن .

ولكي أغrieve باجيت استطردت أقول :

عليك ان تدعوا مس بيدنجفيلد باسمي الى تناول المشاه غداً على مائدةي ، فاني أحب ان أراقصها في الحفلة التذكرة التي ستقام في المساء ، أما أنا فسأتولى بنفسي توجيه الدعوة الى ليدي بلير صاحبة أجمل ساقين في هذه البالغة .

فقال باجيت معترضًا : ولكنني أعرف ان الكولونيل ريس سبقك فدعاهما الى مائدةه .

- ما الذي تعرفه عن الكولونيل ريس؟ ..

- إنهم يقولون انه يعمل في المخابرات ، كما أنه من أشهر الصيادين في العالم.

فتنهدت في استخفاف وقلت :

- ما أعجب تصرفات حكومتنا يا باجيت ! .. يهدون إلى رجل عادي بوائق سرية خطيرة في حين ان لهم على نفس المركب أحد رجال مخابراتهم .
فمال الى أذني وقال هامساً :

- هناك أشياء غريبة شاذة تجربى ياسير اوستاس هأنذا قبيل سفرى مباشرة
أصاب بنزلة كبدية ، ولكن الحقيقة ان الأمر لم يكن كذلك .

- ماذا تعنى يا باجيت ؟

- أعني ان أحدهم دس لي سماً لأتخاف عن الرحلة .

- هل تحدثت في هذا الى زميلك رايبون السكرتير الثاني ؟

- نعم ، وهو يقرني على رأيي .

.. وبهذه المناسبة أين هو .. فاني لم أره أبداً .

- إنه يلازم مقصورته مدعياً انه مريض ، ولكنني واثق ان هذا الادعاء
خدعة منه حتى يتسرى له ان يسهر على حمايتك ، فقد يحاول بعضهم أن
يفتالك .

فقط علمت اليه في دهشة فقال في اقتضاب :

- نعم .. إنك مستهدف لخطر الاغتيال ياسير اوستاس .

ثم اولاني ظهره وانصرف دون ان يضيف كلمة أخرى .

الفصل الحادي عشر

كانت سهرة رائعة ممتعة .

لم أجد في مخازن البانخرة حلة تنكرية قلائم جسمي السمين إلا جلد الدب ، فارقديته على كره مني ، ولكني ظفرت بالجائزه الأولى عن أجمل الثياب التنكرية للرجال . وانتقت مس بيدهجفيميلد ثوب غجرية مطرزاً بالشرائط ذات الألوان الزاهية ، أما مسز بليير والكولونيل ريس فظلاً في ثيابهما العاديه ورفضاً أن يتنكرياً .

ورقصت أكثر من مرة مع مس بيدهجفيميلد وليدي بليير ، ثم جلسنا نتناول العشاء ، وأغرقت المائدة بالشمباتانيا المعتقة ، وأفرط الكولونيل ريس في الشراب ، وانطلق لسانه ، وأخذ يداعبني قائلاً :

— لم لا تدون مذكراتك يا سير اوستاس؟ . لو اذنك فعلت لمعرف الناس ما يجهلون من مغامراتك .

فقلت : لو اني كتبت مذكراتي لاقتصرت فيها على ان أدون فضائح غيري . وبعینین ساذجتين قالت مس بيدهجفيميلد : لا شك ان حياتك مليئة بالمغامرات الطريفة يا كولونيل ريس؟ ..

وانطلق لسانه يروي لها مغامراته في صيد الأسود في روسييا ، وكانت أسلوبه في سرد قصصه شائقاً فتن الحاضرين جميعاً ، وخاصة النساء .

وتساءلت مسرز بلير : ولكن اليس في روبيسيما سوى الأسود ؟
فأسرعت أجيب : بل فيها الماس .. شركة دي بيرس الشهيرة

و هتفت مسرز بلير ومس بيد مجفيفك في صوت واحد :
ـ الماس ! .. آه .. ما أجمل الماس ! .

ثم بدأت الأسئلة تدور حول الماس .. ولكن الأسئلة لم تكن توجه إلى ،
 وإنما كانت تنهال على الكولونيل ريس إذ أصبح دوني بهجة السهرة ومحورها .
إنك طبعاً زرت كمبولي يا كولونيل ؟ .. إنك طبعاً رأيت مناجم الماس ؟ .
هل حقيقة انهم يحبسون العمال الأفريقيين ولا يسمحون لهم بزيارة اسرهم خشية
أن يخربوا شيئاً من الماس عند أهليهم ؟ ..

وأجاب الكولونيل ريس على هذه الأسئلة في استفاضة تدل على إهاطته
بالموضوع ، فقد كنت أنا أيضاً خبيراً بمثل هذه المسائل إذ سبق لي ان زرت
كمبولي ورأيت مناجم الماس أكثر من مرة ، وعرفت الاحتياطات التي يتبعها
دي بيرس ليتوفى السرقات .

وقالت ليدي بلير إذاً فمن المستحيل ان تتاح لأحد الفرصة لسرقة شيء
من الماس ؟ .

فأجابها : لا شيء مستحيل في الدنيا يا ليدي بلير ، فالسرقات تقع
من حين لآخر ، كحادث الخفير الذي أحدث في ساقه جرحًا خطيراً فيه
فصاً من الماس .

ـ والسرقات الكبيرة ؟ . لا تقع أبداً .

ـ لقد وقعت سرقة كبيرة في السنوات الأخيرة ... ولا شك انك تذكر
هذا الحادث يا سير اوستناس ، فانك كنت موجوداً في جنوب افريقيا ،
عند وقوعه

وأمانت برأسي ليجابها ، فقالت ليدي بلير في شفف :
ـ أرجوك ان تروي لنا القصة . أرجوك ..

وابتسم رئيس وشرع يحيي تفاصيل هذه السرقة :

.. حدث قبيل الحرب ان تناولت اشاعات قوية عن وجود الماس في أدغال غينيا البريطانية ، وان المنقبين لم يكتشفوا موقع المتجم بعد . وجاء إلى كمбриلي شابان مغامراً هما جون ايرديسلي وصديقه لوکاس ، وادعيا أنها وفقاً إلى اكتشاف طبقات الماس في غينيا ، وأحضرا معهما مجموعة من قطع الماس الخام بعضها ذو حجم كبير ، وطلباً فحصها وتقدير قيمتها ونوعها . وفي نفس الوقت وقعت سرقة كبيرة في شركة دي بيرس رغم الاحتياطات الدقيقة ، فعند تنصير الماس إلى الجلبرتا يوضع في لفافة مختومة توقيع في خزانة كبيرة لها مفاتيح يحتفظ بأحد هما واحد من كبار الموظفين ويحتفظ زميل له بالفتح الثاني ، أما الشفرة الخاصة بفتح الخزانة فيعرفها موظف ثالث وهكذا لا تفتح الخزانة إلا في حضور الثلاثة ، ثم تسلم اللفافة إلى البنك لتتصديرها إلى الجلبرتا .

واستطرد الكولونيال يتم روايته :

وحدث إذ ذاك ان ارتات البنك في سلامه أختام اللفافة التي سلمت اليه ، ورئي فضها ، فإذا هي خالية من الماس ، وبدلأ منه كانت هناك حفنة من السكر ، ولست أدرى كيف أشار إصبع الاتهام إلى جون ايرديسلي ، ولكن يبدو ان السبب في هذا هو ان سجله في الجلبرتا كان شائعاً مخزيناً ، وأنتم تعرفون طبعاً ان جون ابن سير لورنس ايرديسلي المليونير المعروف وصاحب مناجم الذهب ، ولذلك كان أبوه يخف دائماً إلى نجده ودفع ديونه وإنقاذه من الورطات التي يتربى فيها .

وتتابع رئيس الحديث قائلاً: وقبض على جون ايرديسلي وتبين ان منجم الماس في أمريكا الجنوبية قصة ملفقة ، كما وجد في حوزة جون بعض قطع من ماس دي بيرس ولكن القضية حفظت ولم تقدم الى المحاكم إذ تنازل دي بيرس عن شيكواه بعد ان نقده سير لورنس نحو ربع مليون جنيه قيمة الماس الذي سرقه ابنه . وكان هذا الحادث صدمة للأب المسكون هدمت صحته . وحدث

بعد ذلك ان قطوع جون في الحرب ، ومات كالأبطال فسحا العار الذي دنس اسمه ، ومنذ شهر مات الأب سير لورنس ترك ثروته الضخمة لأقرب وريث له . وريث لا يعرفه ولم يقابلها في حياته .

وسرقت الكولونييل رئيس هنفيه ، ويبدو ان شيئاً استرعى بصر مس بيدنجفيلد ، فقد أدارت رأسها ناحية الباب ، وندت عن صدرها شقة خفيفة . استدرت بدورها وتطلعت الى حيث كانت تنظر .

وهناك في فجوة الباب رأيت سكرقيري الثاني رايبورن واقفاً يرھف السمع إلى حديث الكولونييل رئيس وقبدو في وجهه سمات الانفعال الشديد . فلما رأنا تطلع اليه استدار وانصرف .

وسألني مس بيدنجفيلد : أتعرف هذا الرجل ؟
فأجبت : إنه رايبورن سكرقيري ، وكان مصاباً بدوار البحر فلم يبرح مقصورته إلا اليوم .
— ومتى التحق بالعمل عندك ؟ .
— منذ وقت قصير . قبيل قيامي بهذه الرحلة .

ثم تحولت الى الكولونييل رئيس أسأله :
— وهل تعرف هذا الوريث الذي آلت اليه ثروة سير ايرديسلي الطائلة ؟ ..
فأجاب في بساطة : طبعاً أعرفه .. فأنا هو ذلك الوريث ..

الفصل الثاني عشر

(ان بيدنخفيلد تتابع مرد قصتها)

حق هذه اللحظة كنت أحاول وحدي أن أحلف اللغو ولكنني قررت أن أتخذلي عوناً أفضي إليه بالأمر وأبادله الرأي .

وكان الكولونيال رئيس أول من خطر بذهني ، ولكنني انصرفت عنه ، فهو ذو شخصية قوية مسيطرة ، ولو اني كاشفته لانزع الأمر من يدي ، وتولاه بنفسه

وانبتق اسم ليدي بلير في ذهني ، فهي امرأة ذكية لطيفة المعاشر ، وهي لا تفتئ تولياني مودة رعطفاً .

ولم أتردد لحظة واحدة . ضغطت الجرس أستدعى الوصيفة الليلية لاستفسر منها عن رقم المقصورة التي تنزل فيها مسرز بلير . وبعد فترة قرع الباب وجاء وصيف يلبثي ندائى معتقداً عن تأخيره قائلاً بأنه وحده القائم بالعمل والملتف بالاشراف على جميع المقصورات .

وسأله عرضاً : ولكن اين الوصيفة الليلية ؟

فأجاب : ان الوصيفات جميعاً يفرغن من العمل في تمام العاشرة مساء . فقللت له في استغراب : ولكن كيف هذا وفي الليلة الفائتة جامت الوصيفة

الى غرفي في الواحدة بعد منتصف الليل .

فهز رأسه في دهشة وقال : هذا عجيب . إن الوصيفات لا يعملن أبداً
بعد العاشرة

ثم انصرف بعد ان ذكر لي ان مقصورة مسر بلير هي رقم ٧١ ، وتركني
في حيرة أسائل نفسي عن سر هذه الوصيفة الليلية .. وكانت مدعاة انتحلت
هذه الصفة لتقتحم غرفي في جوف الليل بحثاً عن الرجل الجريح ؟ . أم لعلها
رجلًا متنكرًا في زي امرأة .

ومضيَّت الى مقصورة ليدي بلير فاستقبلتني في دهشة بقولها :

- ما الذي جاء بك في مثل هذه الساعية ؟

- لقد جئت أروي لك قصة حياتي ، هذا إذا لم يضجرك أن
تستمعي الي

واستوَيت على الأريكة ومضيَّت أنفُض اليها ما في صدرِي . فلما فرغت
تأملتني برهة ثم قالت :

- يا لك من فتاة عجيبة ! . تقتحمين الدنيا وتتطفين بالبلاد ، ولا مال
لديك ؟ . ما عساك تفعلين إن وجدت نفسك يوماً خاوية الوفاض ؟ ..

فأجابـت ضاحكة : أبحث عن أي عمل مؤقت ثم أواصل مغامرـاتي ..
وبعد ان ربحت بالأمس جائزة الرقص أصبحـت لدى ثروة طائلة . إن معي
الآن أربعين جنيهاً .

فقالـت ليدي بلير ساخرة صدقـت ! .. إنـها في الحق لثـرة طـائلـة .

- إنـي أحـب المـغـامـرة يا ليـدي بلـير

- أرجـوك . يـكـفي إنـي تـنـاديـني منـذ الآـن باـسـمي الآـول . سـوزـان . وـالـآن
فـلـمـنـتـدـارـس مـعـاً مـا سـمعـتـ منـكـ . قـلتـ ليـ إـنـكـ تـعـرـفـتـ عـلـىـ سـكـرـتـيرـ سـيرـ اوـستـاسـ
عـلـىـ أـنـهـ الرـجـلـ الجـرـيحـ الـذـيـ اـقـتـحـمـ غـرـفـتـكـ فيـ جـوـفـ اللـيـلـ .. لـاـعـنـيـ باـجـيتـ
ذـاـ الـوـجـهـ الشـرـيرـ ، إـنـماـعـنـيـ الـآـخـرـ المـدـعـوـ رـايـبورـنـ .

فأوْمَات بِرَأْسِي مُؤْمِنَة فَاسْتَطَرَدَتْ :

— وَلَا شَكٌ أَيْضًا إِنَّ الْوَصِيفَةَ الْلَّيلِيَّةَ كَانَتْ وَصِيفَةً مُزِيفَةً .. فَهَلْ لَكَ أَنْ تَصْفِيهَا لِي ؟ .

فَأَجَبَتْ : الْحَقُّ أَنِّي لَمْ أَفْطُنْ إِلَيْهَا تَامًا ، وَلَكِنْ وَجْهَهَا بَدَا مَأْلُوفًا لِي .

— أَلَا يَكُنْ أَنْ تَكُونَ رَجُلًا مُتَنَكِّرًا عَلَى هَيْثَةِ امْرَأَةٍ ؟ .

— هَذَا مُحْتَمِلٌ فَقَدْ كَانَتْ طَوْبِلَةُ الْقَامَةِ جَدًّا .

— هَذَا لَا يَنْتَطِبِقُ عَلَى سَيِّدِ اُوسْتَاسِنْ وَلَا عَلَى سَكَرْتِيرِهِ بَاجِيتْ .

وَتَنَاهَى لَتْ وَرْقَةَ وَجَرَتْ عَلَيْهَا بِالْقَلْمَنْ تَرْسِيمَ وَجْهًا ثُمَّ بَسْطَتْهُ إِلَيْيَّ
قَائِلَةً :

— تَأْمِلِي هَذِهِ الصُّورَةِ .. الِيْسَتْ هَذِهِ هِيَ الْوَصِيفَةُ الْلَّيلِيَّةُ ؟ .

فَهَتَّقَتْ فِي دَهْشَةٍ : تَامًا .. تَامًا .. لَقَدْ كَانَ لَهَا وَجْهُ الْقَسِّ الْخَارِمِ شِيسْتَرَا
مَا أَذْكَرْكَ يَا سُوزَان .. نَعَمْ هَذِهِ الْوَصِيفَةُ هِيَ الْقَسِّ شِيسْتَرَا مُتَنَكِّرًا

— لَقَدْ كَنْتَ دَاعِمًا أَشْكَ في هَذَا الْخَلْقِ شِيسْتَرَ ، فَمَنْ عَيْنِيهِ يَطْلُ شَيْطَانَ
مُرِيدٍ .. أَتَذَكَّرِينَ كَيْفَ اضْطَرَبَ وَأَفْلَتَتْ أَصْبَابُهُ قَدْحُ الْقَمَوَةِ عِنْدَمَا أَشْرَنَا فِي
حَدِيشَنَا بِالْأَمْسِ إِلَى الْجُمْرِ الْخَطِيرِ كَرِيبَيْنِ ؟ ..

— كَمْ حَارَلَ فِي عَنَادِ إِنْ يَظْفَرُ بِالْمَصْوُرَةِ ١٧

سَتَامِنَا ، فَمَا هُوَ سَرُّ الْمَصْوُرَةِ ١٧ ؟ .. أَنْتِي أَعْتَقَدُ أَنَّ هَذِهِ الْمَصْوُرَةَ كَانَتْ
مَكَانًا مَضْرُوبًا لِلقاءِ سَرِيِّ ، فَلَمَّا ذَهَبَ رَايْبُورْنَ إِلَى الْمَوْعِدِ المَضْرُوبِ طَعْنَهُ
شِيسْتَرَ ، وَكَانَ مُتَنَكِّرًا فِي زَيِّ الْوَصِيفَاتِ حَقِّ لَا يَشِيرُ شَكُوكُ السَّكَرْتِيرِ إِذَا
الْتَّقَى بِهِ . وَلَكِنْ مَعْنَى كَانَ الْمَوْعِدُ ؟ .. رَبِّا كَانَ مَعْ شِيسْتَرَ نَفْسَهُ ، أَوْ مَعْ
بَاحِيتِ مَثْلًا

فَقَلَّتْ مَعْتَرِضَةً : لَا أَظُنْ ، فَهِمَا كَسَكَرْتِيرِينَ لِسَيِّدِ اُوسْتَاسِنِ يَسْتَطِيعَانَ إِنْ
يَتَقَابِلَا بِغَيْرِ حَرْجٍ عَشْرَاتِ الْمَرَاتِ دُونَ حَاجَةٍ إِلَى مَوْعِدٍ سَرِيٍّ فِي جَوْفِ اللَّيلِ .
وَرَانَ عَلَيْنَا الصَّمَتُ بِرَهَةٍ ، وَفِجَاءَ قَالَتْ لِيْدِي بَلِيرَ :

ألا يجوز أن يكون هناك شيء ما مخبأ في المقصورة؟ ..
ـ هذا محتمل جداً ، فقد نبش شخص مجهول متاعي بالأمس .
ـ ألا يحتمل أنه كان يسعى وراء رقعة الورق التي سقطت من الطبيب المزعوم؟ ..
ـ ربما . ولكن الأمر يبدو سخيفاً . فهي لا تتضمن إلا تاريخ يوم معين، وقد مضى هذا اليوم .
.. أيمكنك أن قطليعني على هذه القصاصة؟ ..

و كانت الرقعة في جيبي ، قدمتها إليها فحضرت تتأملها في اهتمام وقالت :
ـ ما معنى وجود هذه النقطة بعد الرقم ١٧؟ ..

وفجأة نهضت ودنت من المصباح وعرضت الورقة لضوئه ثم قالت :
ـ آن . ليست هذه نقطة وإنما هي عيب أو خدش في نسيج الورقة .
و كانت على حق في هذا ، حيث قالت :
ـ فإذا يحب أن نتلو هذه الأرقام على صورة أخرى ، أي ١٧ بعدها
مسافة ، ثم ٢٢ ومسافة ، ثم رقم ١ .

وقالت سوزان ، ألا تدركون المعنى الآن؟ . الرقم ١ يدل على الورقة ،
أي الواحدة بعد منتصف الليل . أن الآن تقريباً . ورقم ١٧ هو رقم المقصورة
أما التاريخ فهو يوم ٢٢ ..
وقلت لها : ألا يجوز أن تكون هناك غلطة مطبعية في رقم المقصورة؟ ..
لم لا يكون الرقم المعنى هو ٧١ وليس ١٧؟ ..

وهتفت سوزان : المقصورة ٩٧١ . يا إلهي ! . إنها حجرتي .. إنها
هذه الحجرة ! ..
فسألتها : ولكن هل الحجرة ٧١ يا سوزان هي الحجرة الأصلية التي
اسكنها عند بداية الرحلة؟ ..
ـ كلام ، فقد استبدلت بهذه الحجرة .

— إذن من كانت محجوزة أصلاً؟

— لقد أخبرني مراقب الباحرة أنها كانت محجوزة من تدعى مسر جراي ، وهو اسم تذكرني مستعار للراقصة الروسية الشهيرة مدام نادينا التي أحرزت لجاحاً منقطع النظير في باريس اثناء الحرب ، وهي لم تظهر أبداً على مسارح لندن .

وقد حدثني الكولونيل ريس عنها فقال : أنها كانت عضواً في منظمة مجرامية سرية تقوم بأعمال التجسس والسرقات والاختلاس والتزوير ، ويرأسها رجل غامض يقال انه الجليزي الجنسي المعروف باسم «الكولونيل» ، وقد عجزت الشرطة عن اكتشاف شخصيته .

واسترسلت ليدي بلير : نعم . ان نادينا هي بطلتنا أنها المرأة التي يمكن أن تندمج في مثل هذه الألغاز .. لا بد أنها كانت على موعد يوم ٢٢ في هذه المقصورة أي المقصورة رقم ٧١ ، ولكن لماذا تختلفت عن ركوب الباحرة بعد أن سُجنَت لنفسها مكاناً؟

فأجبت : ربما ماتت . اني أعتقد أن نادينا هي المرأة التي قُتلت في فيلا الطاحونة في مارلو .

وهند هذا ذكرت لفافة الأفلام التي عثرت عليها في الفيلا في قاع الدوّلاب الذي تحت النافذة . وفي نفس اللحظة ذكرت أيضاً لفافة الأفلام التي القيت من أنبوبة تكييف الهواء على صدر ليدي بلير وهي راقدة في فراشها في جوف الليل . وهتفت بها :

— أتذكرين لفافة الأفلام؟ انك تعتقدين أنها لفافة التي طارت من يدك عندما أختل توازن الباحرة . ولكن ما يدركك أنها لفافة أخرى مختلفة .

وأصررت ليدي بلير إلى حقيقتها وجاءت باللفافة .
وما أن فضضناها حق تساقطت منها حفنة من الماس .

الفصل الثالث عشر

حملت في كومة الماس في ذهول وغمضت

- سوزان . . هل أنت واثقة من أن هذه القطع الزجاجية ماس
حقاً؟

فأجابت : إني خبيرة بال MAS يا عزيزي .. ولكن لا بد ان هذه الماسات
قصة واريجن؟

لعلها القصة التي سمعناها من الكولونيل رئيس ، فلست أشك انه سردها
عليها هدف معين .

- أتعنين أنه أراد ان يرى أثر قصته على سير اوستاس بيدلر ..
- هذا هو ما خطط لي .

- ثم استطردت : ولكن من يكون الكولونيل رئيس؟
فقالت سوزان . المروف عنه انه من كبار صيادي الوحوش ، وهو كما
ذكر لنا يمت بصلة القرابة الى سير لورنس ايردسل ، وقد أصبح وريثه الوحيدة
كما سمعنا منه . ويقال انه يعمل في المخابرات

ثم أردفت : ان زوجي كلارنس يعمل في وزارة الخارجية في مسكنني ان أبرق
الىه استفسر منه عن الكولونيل رئيس

- إنفي أعتقد انه تعمد ان يروي لنا قصة MAS الذي سرق من شركة

دي بيرس ، فلماذا فعل ذلك ؟ .. اليه من الجائز ان هذه الماسات جزء من الماس المسروق ؟ ..

وران علينا الصمت برهة ، ثم عدت أقول .

- لقد ذكر لنا الكولونيل ريس ان جون ايرديسلي أحد اللصين مات في الحرب ، فهو يدعي ان اعرف مصير الاصنث الثاني ، يعني شريكه لو كان .
فقالت سوزان اما انا فالذى يهمني هو هذه الماسات ، فهي محور الحركة والجيمس يلهثون وراءها . ولا يداخلي شئ في ان « الرجل ذو السترة الرمادية » إنما قتل نادينا ليساوي على الماسات

فقلت في انفعال : كلا .. إنه لم يقتلها .

- إذاً فمن الذي قتلها ؟ .

- لا أدرى ، ولكن ذو السترة الرمادية بريء .

- ولكنه كما ذكرت لي دخل البيت بعدها بدقايق ، وحين خرج كان بادي الارتباك والاضطراب .

- لأنها وجدتها مقتولة فعلاً .

- إذاً لا شك ان القاتل كان لا يزال موجوداً في البيت إلا إذا كان قد غادره من باب خلفي .

وتتساءلت سوزان : ولكن من يكون « الرجل ذو السترة الرمادية » ؟ .
ربما كان هو الطبيب المزيف الذي فحص جثة الرجل الذي صعقه التيار الكهربائي في النفق ، ولا شك انه استطاع ان يغير تذكره وتبعي المسناء الأجنبية الى فيلا الطاحونة حيث كانت على موعد مع كارتون قتيل النفق .
ويبدو ان كارتون يخاف هذا الرجل خوفاً شديداً ، فما ان رأه على رصيف المحطة حق استبد به الفزع فاختلى توازنه وسقط فرق القضايان المكهربة . وعند ذلك ادعى كذباً انه طبيب وظاهر بفحصه واغتنم الفرصة وسرق من جيبه قصاصة الورق ، وفي غمرة إسراعه الى الفرار وقعت منه القصاصة . ولكن ما الذي

حدث بعد ذلك؟.

واستطردت سوزان محاولة ان تستنتج تسلسل الوقائع :

-- أعتقد انه اتصل بعد ذلك بسير اوستاس بيدلر وأقنعه بأن يتخذه سكرتيرا له ، وبذلك يتسمى له الفرار ومخادرة الجلالة بطريقة آمنة . ولكن كيف استطاع ان يقنع سير اوستاس؟. ترى هل يعرف من أسراره ما يخضنه به لسلطانه؟ ..

- وما يدرينا ان باجيت هو الواقع تحت سيطرته، وليس سير اوستاس؟ ..

وقالت سوزان : واستطراداً في استنتاجاتي يمكن ان أقول ان السكرتير رايورن هو « الرجل ذو السترة الرمادية ». وقبل ان تقع منه القصاصة استطاع أن يلقي عليها نظرة خاطفة ، والخدع في معناها كما اخدعت انت من قبل ، وظن ان المقصورة رقم 17 هي المقصورة المدونة على رقعة الورق ، فهدى الى باجيت بأن يبحزها لنفسه ، وفي الليلة المعمودة أي في ليلة 22 مضى الى المقصورة في جوف الليل ، وفي الطريق اليها اعترضه شخص محظوظ طعنها في كتفه

فقللت أقسام : ومن يكون هذا الشخص المجهول ؟

فردت سوزان القس شيستر طبعاً. ان الأمر واضح . هيا يا آن. أبرقى إلى اللورد ناسي صاحب صحبة الدليل باجيت وأخطرته انك عثرت على ذي السترة الرمادية

فاعترضت بقولي : ولكنك غفلت عن بعض الأشياء .

- كيف هذا؟.. إن أوصاف ذي السترة الرمادية تنطبق على رايورن .. نفس الطول ونفس القامة . وبهذه المناسبة ، اذك وصفت رأس الطبيب لاسكتلانديارد ، فما الذي قلته لهم؟

- قلت لهم ان رأسه مستطيل .

وكنت في هذا كاذبة ، فقد ذكرت لهم ان رأسه منبعج ، ويبدو ان ذاكرة

سوزان كانت قوية إذ اعترضت بقولها

— إني أذكر إنك وصفت لي رأسه بأنه منبع ؟
وأصررت على الأكذوبة : بل قلت انه مستطيل .

فتأملتني سوزان برهة ثم قالت :

— إنك لا تحسنين الكذب يا نوريقي الحسناء ، فهل لك ان تفضي إلي بالحقيقة ؟ ..

ولدت بالصمت برهة ، ثم قلت

— لم أكذ أرى رايبرون يقتسم مقصوري في جوف الليل ولم أكذ أفرغ من تصميم جرحه ، حتى شعرت اني أحبه . نعم إني هائمة به يا سوزان .

ولهذا تكذبين في وصف ذي السسترة الرمادية حق تداري الشبهات عن رايبرون ..

— نعم .. إني مفتونة به ، وفي سببيه لن أتردد في الاقدام على أي شيء .
ولكن هذا الرجل قاتل يا آن ، فكيف تحببنته ؟

— بل انه بريء .. وحتى إذا كان قاتلا فما حيلتي ؟ إن زمام قلبي
ليس في يدي .

الفصل الرابع عشر

في صباح اليوم التالي التقى رئيس الكولونيل ريس يتمشى على سطح المركب ، فتىادلنا التجمعية وقلت له

- كانت طريقة جداً تلك القصّة التي رويتها لنا بالأمس .. قصة الماس المسروق . وبهذه المناسبة ما الذي حدث للشريك الثاني؟ . إنك قلت إن جون ايرديسلي مات في ميدان القتال ، فكيف كان مصير لو كاس؟

- لقد تطوع في الحرب ، وذكر اسمه بين المفقودين .
- إذا ، فمصير لوكان ما زال مجهولاً ، ولعله لا زال على قيد الحياة .

المقصورة وعندما وصف لي كارتون أدركت على الفور انه الرجل الذي صعقته
القضبان المكروبة

* * *

مررت الأيام القليلة الباقية على نهاية الرحلة في هدوء .

و ذات مساء كنا جلوسًا على سطح المركب تتبادل الحديث ، وأشار سير أوستاس بيدلر الى فوضى مواعيد القطارات في ايطاليا ، وعندئذ حدث نفس الشيء المعهود ، إضطراب سكريبه باجييت اضطراباً شديداً ، كما هو شأنه دائمًا كلما أشار أحد إلى ايطاليا وفلورنسا . وحين نهض سير اوستاس ليراصر ليدي بلير اغتنمت الفرصة وقلت لباجييت :

— لكم أتوق إلى زيارة ايطاليا فانها في الحق بلاد جميلة .. ترى هل استمتعت بعطلك التي قضيتها في فلورنسا يا مسٹر باجييت ؟

— طبعاً يا مس بيدلجريل .. والآن هل تسمحين لي بالانسحاب لأحرار بعض الرسائل ؟

فتشبشت بذراعه وأجلسته وأنا أقول :

— إنك لا تستطيع ان تهرب مني أ .. إن ضميرك يؤنبك بشأن رحلة فلورنسا ، فما الذي فعلته في هذه المدينة ؟ هل وقعت في مشكلة حب ؟ .
هيا حديثي .

فجلس مستسلماً على كرمه منه وهو يقول :

— ما الذي تريدين معرفته ؟

— هل أعجبتك فلورنسا ؟ .. هل شاهدت تمثال العذراء ولوحات رافاييل ؟
— إنها رائعة .. تحفة فنية لا مثيل لها .

— وهل تناولت السمك في المطعم المشيدة على ضفاف نهر أرنو ؟ . إنهم يخرجونه من النهر حياً أمام عينيك ويشعرونك لك .

- طبعاً .. لقد تعشيت هناك أكثر من مرة
- وهل تزهت في نهر دومو في تلك القوارب الملونة الجميلة ؟
- مررتين على الأقل .

وهكذا ازلق باجيت في سهولة إلى الفخ الذي نصبه له ، فقتل المعلم التي أشرت إليها غير موجودة في فلورنسا ، ولكنك أكدر رداً على أسئلتي انه زارها ورآها ، وهذا دليل على انه لم يذهب فقط إلى فلورنسا فain كان إذا خلال عطلته ؟ .. أين كان في الفترة التي جرى فيها هذا اللغز ؟ .. طبعاً كانت في إنجلترا .

وأقدمت على خطوة أخرى جريئة .. قلت له :

- إنه ليخيل إلي الذيرأيتك من قبل ، ولكن لا بد الذي مخطئها بها إنك كنت في فلورنسا في ذلك الوقت .

ورماني بنظرية مضطربة وقال :

- ولكن أين تعتقدين إنك رأيتنني ؟ ..

- في مارلو . إنك تعرف مارلو طبعاً . ان سير أوستاس يملك هناك بيته .. فيلا الطاحونة .

وانبعثت باجيت واقفة ، وبادر إلى الانصراف .

وفي تلك الليلة مضيت إلى مقصورة ليدي بلير ، وأفضيتك إليها بما كان بيني وبين باجيت ، وسألتها

- نعم .. كان باجيت في إنجلترا أثناء مقتل الأجنبية ، فهل تعتقدين انه هو القاتل ؟ ..

فردت سوزان بقولها : إني مقتنعة بشيء واحد ، هو أن القاتل رجل وسيم ليس له سمعة باجيت البشعة الذميمة .

ثم استطردت : الآن عرفنا حقيقة لا شك فيها ، باجيت كان في إنجلترا أثناء وقوع الجريمة

- تماماً ، فعلمينا أن نراقب حركاته وسكناته

- هو وغيره طبعاً من نشتبه فيهم .. وبهذه المناسبة . إنك لا تملكون المال إلا النزير اليسير ، وأثناء مراقبتك للمشتبه فيهم ستضطررين إلى النزول في أفحى الفنادق . أنت شرکاء في هذا اللفر ، فانفعني ما تشارئن ولا تتردد ، فاني أضع مالي رهن إشارتك .. السنا شرکاء ؟.

وبان التردد في وجهي فاستطردت سوزان :

- سنبدأ أولاً بآن تنزلي معي في فندق نيلسون على حسابي حتى نلتقي بسهولة ونناقش خططنا .

واضطررت إلى الاعذان فضلت تقول

- سير أوستاس سينزل في فندق نيلسون في كيب قاون ، ثم يذهب بعد ذلك إلى روبيسيا ، أما القدس شيسنر فسيذهب إلى دوربان ، وقد عرض علي سير أوستاس أن أصحابه في سيارته الخاصة .

- حسناً . عليك أنت ان تراقي سير أوستاس وباجيت ، أما أنا فسأتولى مراقبة الأب شيسنر . ولكن من الذي سيراقب الكولونيال ريس ؟ .. ؟

- حسناً إن ريس مسافر إلى روبيسيا أيضاً ، ولذلك سأقنع سير أوستاس بأن يدعوه إلى ركوب سيارته ، وبذلك يتسمى لي مراقبة المشبوهين الثلاثة .

وانصرفت إلى مقصوري ، ولكن الأرق استبد بي ، فصعدت ألمشي على سطح الباخرة ، ثم وقفت عند السياج أتأمل الليل الساجي وهدوء البحر . ولكن فجأة جاءني نذير خفي بخطري يقترب .

واستدرت سريعاً ، ولحت شبحاً ينقض علي ، ويطبق بيده على عنقي ، فأطلقت صرخة داوية ، وجعلت أناضله على غير جدوى وهو يدفعني إلى ناحية السياج ليقذف بي من فوقه إلى أفواه الحيتان

وبدأت أضعف وأتخاذل، وفجأة سمعت وقع أقدام خفيفة سريعة، ورأيت
شبحاً آخر مقبلاً علينا.

وسدد القادر إلى الشبح الذي كان يحاول أن يخنقني لكتة عنيفة طرحته
أرضاً، ثم تلقاني بين ذراعيه وهو يقول في صوت يفيض قلقاً وانزعاجاً :
ـ هل أنت بخير؟.. هل أصابك بسوء؟..

وقطعته إليه، وعرفته على الفور.. إنه «رجل» - الرجل الذي أحببته -
رايبورن سكرتير سير أوستاس.

وفي اللحظة التي كان رايبورن يطمئن فيها علي كأن عدوي الخفي قد
نهض واقفاً وانطلق هارباً. ولم يتزدد رايبورن لحظة واحدة، وإنما طار في
أعقابه يطارده. ورجع إلى رايبورن بعد لحظات وهو يقول :

ـ لقد وجدته مكيناً أمام باب حجرته، وبيدو انه أغمي عليه من
أو لكتي.

ـ ولكن من هو؟.. هل عرفته؟
ـ سرى الآن.. هنا بنا.

وأخذ بذراعي إلى حيث كان الرجل مكيناً على الأرض، وأشعل عوداً
من الثقاب، وشهق دهشة وذهلاً.

كان الرجل هو جاي باجييت سكرتير سير اوستاس.
والتقت إلى رايبورن قائلاً :

ـ إنك لم تدهشني حين عرفت أن مهاجمك هو باجييت، فهل تبيينت وجهه
حين انقض عليك؟.

ـ كلام فقد كان الظلام داماً، ولكني كنت أتوقع الأمر من قبل

فقط لعلي في استغراب وقال :

ـ هذا عجيب!.. ترى ما مدى ما تعرفي؟.

ـ إنني أعرف أشياء كثيرة يا مستر رايبورن. أم لعله ينبغي أن أقول

يا مسiter لو كاس .

فأمسك ذراعي بعنف آلمني وقال :

ـ من أين جئت بهذا الاسم ؟

ـ اليهذا هو اسمك ؟ .. أم اعلم تفضل ان أنا ديك بالرجل ذي السترة الرمادية » ..

كانت المفاجأة شديدة الواقع عليه .. خلى عن ذراعي ، وارتد الى الخلف خطوة او خطوتين ، ثم قال :

ـ من عساك تكونين ؟ .. أنت فتاة من البشر أم ساحرة من الجن ؟ ..

ـ بل أنا صديقة مخلصة ، أقذرك من الموت يوماً ، وما زلت على استعداد لأن أنقذك .

فاكفهر وجهه ورد في خشونة وصلف .

لا أريد مساعدة من أحد .. لا أريد ان تكون بيني وبين أية لمرأة في هذه الدنيا رابطة من أي نوع كان .

واستثارت كلماته غضبي فقلت أتوعده :

ـ الا تعلم أنك في قبضة يدي ، واني بكلمة واحدة أتفوه بها التي بك في غياب السجون .

فضحلك في مرارة وقال : بل أنت التي في قبضة يدي ، إني أستطيع أن أقتلك الآن .

ـ إني أعلم بذلك لا يريد ان تتورط في جريمة قتل أخرى .

ـ جريمة قتل أخرى ؟ .. ماذا تعنين ..

وبدت الدهشة في سمات وجهه فقلت مستطردة :

ـ أنسى قتيلة فيلا الطاحونة ..

فارتسمت على محياء أماارات وحشية وغمق :

ـ هذه المرأة ؟ .. لكم ثمنيت حقاً ان أقتلها ..

وفاقت بعالم وجهه سمات صارخة من الحقد والكراءية .

ثم تماستك واسترد هدوءه وقال :

ـ طاب مساؤك يا مس بيذنفيك ، وداعاً .

ـ بل إلى اللقاء يا مستر لوکاس .

فأجاب في خشونة :

ـ وداعاً ، فاننا لن نلتقي أبداً .

ـ بل سوف نلتقي .. لقد ربط القدر مصيري بمصيرك .

وأولاني ظهره ، وابتعد عني يدق الأرض ساخطاً في خطوات حانقة .

الفصل الخامس عشر

(نقلاً عن مذكرات سير أوستام بيدلر)

دخل علي سكريتيري باجبيت بعين متورمة وبدأ قصته بأن روی لي انه لمح رجلا يتصرف بطريقة تشير الريبة .

قال : كان الرجل يمشي في حذر وتلخص ، وكان ذلك في منتصف الليل .

- وما الذي أخرجك أنت من فراشك في مثل هذه الساعة ؟ ..

- كنت منهكًا في تحرير بعض الرسائل الخاصة بك . وقبل ان آوي الى فراشي رأيت ان القمي بنظرة لاطمئن على سلامتك .

واستطرد : ورأيت الرجل قادماً من ناحية حجرتك ، فاستربت فيه بسبب مشيته الحذرة المتلخصة ، ثم الخرف إلى باب قاعة الجلوس وفقد منه ، فلم أتردد في اقتقاء أثره . وقد تبيّنت وجهه على الضوء الخافت .. إنه رايبورن ما في ذلك شك .

فقلت في دهشة : رايبورن ..

- إني متأكد من هذا ، ولاشك انه كان على موعد سري ، مع الكولونييل ريس .

- موعد في منتصف الليل ؟ ..

- ولكته موعد سري .. لينلاقى الأوامر .. نعم يا سير أوستاس هناك شيء غامض يجري في الخفاء وإلا فلماذا هاجمني رايبورن؟ ..
- وهل أنت متأكد انه رايبورن؟ .

- إني واثق من هذا ، والدليل على ذلك ان رايبورن اختفى ب مجرد تزولنا إلى البر .

وكان على حق في هذا ، فاندأنا لم نر وجهه منذ هبطتنا إلى البر .

وهكذا أثارتني قصة باجيت وملأتني غضباً ، فهذا هو سكرتيري باجيت متورم العينين ، في حين ان سكرتيري الثاني رايبورن قد اختفى وتوارى كأنما انشقت الأرض وابتلعته .
وحدث بعد ذلك شيء خطير .



ذهبت الى مقابلة رئيس الوزراء الأسلمه للتفاوض التي عهد إلي ميلراي ، والتي تضم مجموعة من الوثائق الخطيرة
كان الختم سليماً لم يمس ، ولكننا حين فضضنا اللفاقة وجدناها لا تضم إلا
مجموعة من الأوراق البيضاء .
ولعنت نفسي ولعنت ميلراي على أن أوكل إلي هذه المهمة السرية للعينة .

وبدلأ من أن يهون علي باجيت الأمر قال لي :
ـ ما أدرالك يا سير أوستاس ان رايبورن محتال مزيف وان وزارة الخارجية
لم توفره اليك ليصبحك كسكرتير إضافي؟ .. إنه زعم لديك انه موقد من قبل
ميلراي ، ولكنك لم يقدم اليك أي خطاب رسمي يؤيد هذا ، فهل تتحقققت من
أنه لم يكذبك القول؟ .

واقترح باجيت ان نبعث ببرقية إلى ميلراي نستفسر فيها عن رايبورن
وفي نفس المساء جاءنا الرد بأن وزارة الخارجية لا تعلم شيئاً عن هذا المدعوه

رايبورن ، وإنها لم تؤده إلى .
وما لبث باجتىء أن خرج إلى بأسطورة قاتلة .

جاء يهمس في أذني بأن رايبورن لا بد أن يكون هو ذلك القاتل الشهير ،
«الرجل ذو السترة الرمادية» ، الذي يطارده رجال الشرطة ويسمون في أحقياته .
ولم أحاول في هذه المرة أن أكذبه ، فقد عودني في المرتين السابقتين أن يكون
صادقاً في تأويلاته وسوء ظنه .

وقلت له : أولى بي أن أبادر بالسفر إلى روسييا ، ولكنك لا يمكن أن
تصحّبني بهذه العين السوداء المتورمة ، إذ كيف أقبل أقراني من رجال الأعمال
وأقدم إليهم سكريباً يبدو وكأنه ملائم خروج لتوه من الحلقة مهزوماً مضروباً .
ـ ولكن ما عساك أن تفعل برسائلك ؟ .. من الذي سيدونها لك ؟ ..

ـ سأدبّر الأمر بطريقة ما ... ساعرض على مس بيدنجفورد أن تصحّبني
وتعمل سكرتيرة لي .

ولشدة دهشتي اعترض باجتىء بقوّة على افتراضي ، ومضى يلمح في الوجه
بأن لا أستخدم آن بيدنجفورد .
ولكي أغrieve تشبّث بها ، وتركته ساخطاً متبرماً .

الفصل السادس عشر

(ان بيدينجفيلد تروي قصتها)

صحوت في ذلك الصباح مبكرة ، وصعدت الى الجزء الأعلى من سطح الباخرة أطلعت الى روعة الجبل الشامخ ، تكلله السحب البيضاء كأنها ذاج من الزهر الناصع البياض .
وحدثت بني لفترة إذ لاحت شبح رجل في الركن القصي من المكان غارقاً بدوره في تأملاته وأحلامه :

على إني ما لبشت ان رأيته يوايل مكانه ويتوجه إلى ناحيقه ويلقى إلى بالتحية .
ولم يكن هذا الرجل سوى رايبورن .
وقال : أريد أن أعتذر إليك عما بدر مني بالأمس .
ـ لقد كانت ليلة حافلة .

ـ هلا غفرت لي خشونتي وسوء أدبي ..?
فبسطت اليه يدي أصافحه دون ان أنطق بكلمة .

وتحمهم وجهه قليلا ، وقال في نبرات رزينة :
ـ من بيدينجفيلد ... أرجوك ان تستمعي إلى ... افك مستهدفة لأخطر
لا يمكن ان تعرفي مداها إنك إزاء منظمة إجرامية خطيرة لا يتورعون عن

أشد جرائم القتل وحشية . إنني خائف عليك .

ـ ولكن ما الذي يحملك على تحذيري ؟ .

فسكت برهة يتأملني ثم قال :

ـ إنك أنقذت حياتي ، وهذا أقل شيء أوفي به جميلك . ولكن إذا قدر لي ان أنزل إلى البر فقد أحاول ان أساعدك ..

ـ ماذا تعني بقولك إذا قدر لك ان تنزل إلى البر ؟ ..

ـ هناك آخرون يعرفون انني ذو السترة الرمادية ، فإذا وشوا بي قبض علي فوراً . وإن كنت اعتقاد ان الرجل لن يبلغ عنى لأنه يريد ان يستغلنى ، ويراني حراً طليقاً أنفع له مني مقيداً سجيننا .

ثم أردف والآن وداعاً فأغلب الظن اننا لن نلتقي مرة أخرى .

ـ بل سوف نلتقي .

وشد على يدي يصافحني ، وأحسست من لمسة أصابعه برجفة ، شملت بدني .

ومرت الساعتان التاليتان والقلق يكاد يفترسني ، أسائل نفسي عن مصير رايبرون . ترى هل تلقى الباحرة مراسيمها فينزل الى البر في سلام ، أم يشي به ذلك الرجل الذي يعرف سره فيلاقي عليه القبض ؟ ..

ولم أهدأ بالا إلا حين رأيت رايبرون يغادر السفينة إلى البر دون ان يتعرض له أحد بسوء .

ولحقت بسوزان وركبنا إحدى سيارات التاكسي ، ومضينا معها إلى فندق نيلسون لأقضي الليلة معها طبقاً لاتفاقنا .

ونزلنا في الفندق في غرفتين متلاصقتين ، ذهبت إلى سوزان في غرفتها ، فبادرت تسألني :

ـ أرأيت باجيتك اليوم ؟ .. لقد التقيت به صدفة فرأيت له عينين سوداء متورمة كأنما تلقى لكمحة عليها .

فقلت ضاحكة : إنها فعلاً أصيّبت بلكرة .

ورويت لها ما حدث بيّني وبين بجيّت ، وكيف حاول أن يخنقني ويدقّن في البحر ، لولا أن خف رايبيورن إلى نجاتي وعاجله بلكرة طرحته أرضاً .

- هذا عجيب ! .. إن اللجز يزداد غموضاً .. ويبدو أنني أنا أيضًا مستهدفة للخطر .

- لا أظن ، فإنك ما زلت بعيدة عن الشبهات .

فقالت سوزان وهي هذه المناسبة تأوليني هذه الورقة ، لأبعث ببرقية إلى كلارنس .

ونخطت هذه الكلمات على الورقة :

« تورطت في لجز مشير . أرسل إلى الف جنيه فوراً » .

وأتى بعض الأصدقاء من أهل المدينة ، يزورون سوزان ، فانشغلت بهم عنّي ، فخرجت أتجول في المدينة ، لأشاهد معالمها ، وأشغل وقت فراغي .

وحين عدت إلى الفندق وجدت في انتظاري مفكرة من أمين المتحف يقول فيها انه عرف من قائمة ركاب الباخرة المنشورة في الصحف أنني ابنة عالم الأجناس الشهير البروفسور بيذنجفيلد ، وأنه سبق أن التقى بأمي مرة أو مرتين ، ولذلك يسعده أن أتناول الشاي معه ومع زوجته في بيته في موينزبرج بعد ظهر اليوم ، ووصف لي موقع الفيلا . فأسرعت إلى المخطبة وركبت القطار المسافر إلى موينزبرج .

وأهتميت إلى فيلا ميدجي بمسؤوله ، وكانت في ركن قصي من الشاطئ . وفتح لي الباب خفير شاب ، فسألته عن « مزر رافيني » فأجاب بأنها في انتظاري . ودعاني إلى الدخول .

وما كدت أخطى الباب حتى انصفق وراني في عنف ، وتقدم إلى شخص
ملتح يحييني في لكتة هولندية وقال :
— إذاً قد وفقنا إلى إغرائك بالحضور يا من بيد مجفيفيلد .

وكانت في ذهرتها لهجة وعید وتهديد ، وفي عينيه نظرة تتقد
شراً .

وعندئذ وضحت لي الحقيقة في جلاه ،
قد وقعت في يد الأعداء ... وذهبت إلى موعد مع الموت .

الفصل السابع عشر

قلت اخاطب الرجل الملتحي :

— لقد دعاني أمين المتحف لكي أتساول الشاي معه ، فاذا كنت قد
أخطأت البيت ...

فقطاعني : انك لم تخطئي البيت ، وإنما أخطأت في قبول الدعوة أصلا ..
أنك اسيرتني يا مس بيدنجفورد .

— وبأي حق تحتجزني ؟ . سوف ابلغ الشرطة ..
فضحوك في سخرية وقال :

— هذا إذا قدر لك أن تفادرني هذه الفيلا وأنت على قيد الحياة
فاستويت بجالسة على أحد المقاعد وأنا أقول
— يجب أن انبهك إلى ان اصدقائي يعرفون وجهي ، فاذا لم أعد اليهم حتى
المساء جاموا يبحثون عني وهم رجال الشرطة .

قال يتحداكي : — إذن فأصدقاؤك يعرفون مكانك ؟ .. من منهم يا ترى ،
فإن أصدقائك كثيرون

وكان لا بد أن أقبل التحدي ، فأجبت وأنا أعلم اي كاذبة :
— ليدي بلير . وهي صديقة لي وأنزل معها في نفس الفندق .
.. إن أكتوبرتك مفوضحة يا مس بيدنجفورد فانك لم تقابل ليدي بلير منذ
الحادية عشرة صباحاً لانشغالها مع بعض الاصقاء ، في حين انك تسلست

رسالي وأنت على مائدة الغداء .
وأدركت من رده أن تحركاتي كانت موضع المراقبة .
وقلت له : ترى ألم تسمع أبداً بذلك الاختراع الذي يسمونه التليفون ؟ ..
لقد اتصلت بي ليسيدي بلير تليفونيًّا وانا في غرفتي بعد الغداء ، فأخبرتها إنني
ذاهبة إلى فيللا ميدجي في مويزنبرج لتناول الشاي .
وأفلحت خداعي فقد بدت امارات القلق في وجهه الهولندي إذ
صدق قوله .

ثم هب واقفاً وهو يقول : - ألا حسبي هذا .
وسألته وانا أحاول ان ابدو هادئة متسلكة :
- وما الذي تنوين أن تفعل بي ؟ .
- سأودعك مكاناً لا تملكون فيه ان تسيئيلينا إذا ما جاء اصدقاؤك
في عقابك

وسررت البرودة في أوصالي إذ فهمت من كلامه انه ينوي أن يقتلني .
واستطرد يقول : عليك غداً أن تجبي على بعض الأسئلة ، وبعدها ننظر
فيها سوف نفعل بك .

وشاع الاطمئنان في نفسي ، فسوف أظل على قيد الحياة حتى صباح
الغد على الأقل

وقد فهمت من ارجائه الأمر إلى الغد انه مجرد مرؤوس لا يملك من الموقف
شيئاً ، ولكن ترى من يكون هذا الزعيم ؟ . أيكون هو باجيت ؟

واستدعى الهولندي اثنين من الحرفاء ، وامرها ان يصعدا بي إلى الطابق
الأعلى ، وامرها بشد وثيق وتقيد يدي وقدمي بحبيل احكاماً شدَّه حتى كاد ان
ينفرز في لحمي .

وانحنى الهولندي امامي في سخرية وقال :
- إلى اللقاء غداً يا ضيفي العزيزة .

وتركني وحدي عاجزة موثقة اليدين والساقين لا أجد وسيلة الى الخلاص .
وحاولت ان أتخالص من قيودي فانفرز الحبل في لحي وآلمني إيلاماً شديداً ،
وارهقني المحاولة وأنهكت قواي ، فما لبشت ان غرفت في النوم .

وحين صحوت كان الليل قد هبط . وعلى شمام ضوء القمر الذي يتسرّب
من النافذة لحت شيئاً يبرق في ركن الغرفة . وركزت بصري على هذا الشيء ،
وتبيّنت كنهه على الفور .. إنه قطع من الزجاج المكسور .
لو اني استطعت ان أصل إلى هذا الركن القصي من الغرفة ، وان أمسك
بقطعة من الزجاج أحك بها الحبل الذي يدور بعمصي وساقي .. لو ان هذا
حدث لنجوت .

وبدأت أتدحرج على الأرض ، خطوة بعد خطوة ، والحبيل يلهب
جسمدي بالألم .

وأخيراً وصلت إلى قطع الزجاج المكسور ، وجاحدت طويلاً ان أسند
قطعة منها على الجدار ، وأخيراً أفلحت ، وبدأت أحك الحبل الدائر بعمصي
في سنه الحاد . ورويداً أخذ نسيج الحبل ينبرى ، وأخيراً بشدة واحدة انقطع
الحبل وإذا بيدي حرة طليقة .

وكان الأمر بعد ذلك سهلاً هيناً ، إذ استطعت دون عناء ان أقطع باي
قيودي .

وكان الشيء الذي أتلهم اليه في هذه اللحظة لقمة خبز أتبليغ بها وأسد بها
جوعي إذ لم أكن تناولت شيئاً منذ الفداء ولكن اين السبيل إلى ما أرجو .

فتفتحت باب الغرفة في حرص وحذر ، ولم يكن لحسن حظي مقلقاً بالفتح
من الخارج ، إذ لم يروا ما يدعونه الى ذلك وأنا موثقة القياد لا سبيل لي
إلى المرب .

تسللت الى المشى ، ثم بدأت أهبط درجة بعد درجة ، في خطوة رفيق
حذر . وعندما بلغت منعطف السلم لحت الحفير الصبي جالساً على مقعد بالقرب

من الباب ، فيجمدت مكانني خائفة مرتعبة ، ولكنني ما لبست ان أهدركت انه غارق في النوم .

وتابعت نزولي في جرأة ، وبلغت باب الغرفة ، والصقت أذني بصلفته ، فلم أكدر أتبين إلا أصواتاً مختلطة غير واضحة . فملت الى ثقب الباب اخترس النظر من خلاه .

كان سجاني الهولندي جالساً في صدر الغرفة ، وكان هناك رجل آخر وعرفته على الفور انه القس شيسستر رفيقي في الباحرة « قصر كيلوردن » . وجعلت أذني على ثقب الباب ، وبدت الكلمات أكثر وضوحاً وجلاء .

تبينت صوت الهولندي وهو يقول :

- لنفرض ان أصدقائهمجاوا يبحثون عنها .

وأجابه شيسستر : إنها تحاول ان تخدعكم ، فانهم لا يعرفون مكانها . ومع ذلك فهذه هي اوامر « الكولونييل » .

فقال الهولندي مزحراً : ولكن لم لا نقتلها في الحال ونحملها الى المركب وننكشف بها في الماء .

فقال شيسستر : ولكننا لا نستطيع ان نخالف اوامر الكولونييل .. إن يريد ان ينتزع منها بعض المعلومات .

وقلت في نفسي وأنا أستمع الى هذه الكلمات :

- معلومات عن الماس طبعاً .

فقال شيسستر . والآن تأولني القوائم لأطلع عليها ..

وأخيراً سمعت القس شيسستر يقول :

- حسناً . سآخذ هذه القوائم معي لأطلع عليها الكولونييل

- أو يريد ان تقابل الفتاة؟ ..

- لا .. فقد أمر الكولونييل ان تترك وحدها حتى يحضر اليها مخدداً .. إنها

طبعاً موئلة القياد باحكام

فأجابه المولندي : طبعاً فانا الذي قيدتها بنفسي .

وسمعت القس شيستر يزدح مقعده تهيوأ للانصراف ، فأسرعت بالانسحاب ، وتسالت راجحة إلى سجني ورقدت على الأرض كما كنت من قبل ، ولفت الباب حول معصمي وساقي حق إذا خطر لهم أن يلقوا نظرة علي ، وقع في روعهم أنني ما زلت أرسف في أغلاي

ولبنت ساعة ساكتة في مرقدي التمرين فرصة للفرار ، ولكنني حين تسالت من الغرفة مرة أخرى وجدت الخفير ما زال جالساً على مقعده عند الباب ، ولكنه كان يقظاً ساهراً على الحراسة .

وطلع الفجر ، وبدأت الأصوات من الطابق الأرضي ، فوقفت بباب غرفتي -أنا صرت اليها- .

وأمرت بها سمعت أنهم فرغوا من تناوله -الفطور- ، ثم غادر شيسستر المنزل يصحبه المولندي . وأطللت من فوق الدرج فوجدت الخفير يدخلن إلى قاعة الطعام ليرفع الصحاف ..

وعندئذ لم أتردد لحظة واحدة .. هبطت الدرج مسرعة وانطلقت إلى الخارج وأنا أجري بكل سرعي .

الفصل الثامن عشر

كان الناس يتطلعون باستغراب إلى هذه المرأة التي تركض بأقصى سرعتها، ولربما كنت لا أأنفك أسلأهم من حين لآخر « أين المحطة؟ .. فيشيرون إليها وأتابع الجري » وتنبهد دهشتهم على الفور إذ من المأثور ان يجري المرء ليلحق بقطاره قبل ان يتمحرك .

وحيث رأتني سوزان ارتمت على صدرني وهي تتقول :

— أين كنت يا حبيبي آن؟ .. أين بت الليلة؟ .. لقد انزعجت عليك ازعاجاً شديداً .

— كنت غارقة في المغامرات .

ورويت لها ما مر بي ، فقللت :

— لقد استندفت حقاً الموت .

ثم أردفت : والآن ما هي خطتنا المستقبلية؟ ..

— إنك مسافرة طبعاً إلى روسييا لترافقني بأعيت .

— وأنت؟ .. ما الذي تنوين؟

وكان سؤالاً من الصعب الإجابة عليه .

لقد رأيت القدس شيسنر بين المتأمرين ، ولكنه لا يعرف اني كشفت مسره ، فإذا استطعت ان أرقب تحركاته فذلك كفيل باماطة اللثام عن اللغو الخفي .

ولكن ما الذي يعتزمه شيستر الآن؟.. هل ينوي ان ينفذ خطته الأصلية فيسافر إلى ديربان، أم أنه عدل عن ذلك وسيواصل رحلته على الباخرة.

ورأيت ان أسافر الى ديربان، فإذا ما بلغه فراري فلا أسهل عليه من ان يزاييل المركب في أحد الموانيء ويلتحق بي في ديربان.

وعلمت ان القطار يتعرّك الى ديربان في الثامنة.

وسألتني سوزان ونحن نتناول الشاي في قاعة الجلوس:

ـ وهل تستطعين يا ترى ان تتعرّفي على شيستر؟.. أعني إذا تذكر على صورة أخرى.

ودخل الكولونيل ريس إلى القاعة في هذه اللحظة وانضم اليانا.

وسألته سوزان: إني أرى سير أوستاس اليوم.

ـ إن لديه مشكلة أقضت عليه مضجعه.

ـ حقاً؟.. حدثنا عنها إذا.. ما هي مشكلته؟

فسكت هنيهة ثم قال: ما رأيك اذا عرفت ان الرجل ذو السترة الرمادية كان رفيقاً لنا طوال هذه الرحلة؟

فضحكت سوزان: حقاً؟ ماذا تقول؟

واستطرد ريس: ورجال الشرطة يراقبون جميع الموانيء.. لقد استطاع ان يخدع بيدلو ويلتحق بالعمل لديه سكرتيراً له.

ـ أتعني ان باجيit هو « ذو السترة الرمادية ».

ـ بل أعني السكرتير الآخر.. رايبورن.

فتساءلت سوزان: وهل قبضوا عليه؟

ـ لقد ذاب في الهواء.

ـ وما هو رأي سير أوستاس فيما ححدث؟

ـ إنه يكاد يجن غضباً.

وتسرى لنا بعد الظهر أن نعرف رأي سير أوستاس في الأمر فقد دعاها إلى

مشاطرته الشاي .

وقال وفي صوته نبرة من الغضب :

ـ أولاً إمرأة أجنبية تقتل في بيقي في فيلا الطاحونة ، فلماذا اختارت
بيقي دون بيوت الناس أجمعين ؟

واستطرد : وفانياً يأتي القاتل إلي ، وبكل جسارة ، ويطلب مني أنت
الحقه بخدمتي سكرتيرآ .. وهكذا أصبح لي سكرتيران : أحدهما قاتل سفاح ،
والثاني يدمن المخدر حتى يفقد توازنه فيقع على الأرض وتتورم عينه .

والتفت سير اوستاس إلي وقال :

ـ ما رأيك يا مس بيدنجفيلد في ان تعملي سكرتيرة لي بصفة مؤقتة رينا
تشفي عين باجيت المتورمة ؟

فقلت . شكرآ لك يا سير اوستاس ، ولكنني مسافرة الليلة إلى
ديربان ..؟

وحاول ان يغيرني بالقبول ، ولكني أصررت على الاعتذار .

وضغط السير اوستاس المدرس واستدعى باجيت .

وقال له : لقد اعتذررت مس بيدنجفيلد عن العمل سكرتيرة لي ، فأذهب
إلى الغرفة التجارية وأبحث لي عن سكرتيرة تجيد الأخذال ، ويعجب أن تكون
جميلة ، وان لا يكون لديها اعتراض على ان أمسك بيدها أو أرببت
على وجهتها .

وحين خلوت إلى سوزان قلت لها :

ـ علينا إذاً ان نعدل خطتنا ، فباجيت باق هنا ولن يرافق سير اوستاس
في رحلته إلى روسيبيا ، وبذلك سيفلت من مراقبتك له .

ـ إذاً سأبلغ سير اوستاس اني عدلت عن مراقبته إلى روسيبيا .

ـ لو انك فعلت هذا الآثار تصرفك شكوك باجيت . ثم ان سفرك ضروري
على أية حال حتى يتسمى لك مراقبة الآخرين .

وأخذنا نتداول في الأمر ، وأخيراً قلت :

ـ إسمعي يا سوزان .. إنني فكرت سمعكني من مراقبة باجيت ..
سأتظاهر بأنني مسافرة الليلة إلى ديربان ، ثم أمضي إلى أحد الفنادق فأؤضي
فيه ليلاً خفية دون أن يخطر ببال أحد إنني لم أغادر كيب تاون وفي الصباح
أغادر الفندق متنكرة وأقتفي خطوات باجيت .

ـ هل تنوين أن تضعي شارباً مستعاراً ؟

فضحكت وأجبت : سأضع نظارة سوداء سميكة ، وأغير تصفيف شعري ،
وأدهن حاجبي بنخط أسود ثيف ، فإذا ما رأني باجيت استحال عليه أن
يعرفني
وأقرت سوزان هذه الخطة وراقت لها .

وتداولنا المشاه على مائدة سير أوستاس ، وكان في نيق ان أودعه بمسمع
من باجيت وإن أقول له إنني مسافرة الليلة إلى ديربان ، ولكن باجيت تداول
طمامه في عجلة وزايل المائدة قبل أن تناح لي هذه الفرصة .
ولما فرغنا من المشاه ذكرت لسير أوستاس التي مسافرة فقال :

ـ هكذا سمعت . وبهذه المناسبة يمكنك ان تستقل السيارة مع باجيت
ليوصلك إلى الخطة فإنه خارج الآن .
وكان هذا طبعاً كفيلاً بأن يفسد خدعة تظاهري بالسفر إلى ديربان ،
فقلت معتذرة :

ـ شكرًا لك ، فقد استدعت ليدي جلبي تاكسي واستصعبني إلى الخطة .
ومضينا إلى ردهة الفندق وقلت لأحد السعاة :
ـ استدع تاكسي وانقل إليه حقائبى .

وسمعت صوتاً ورأي يقول :

ـ لا داعي للتاكسي .. يمكنك ان انقلك إلى الخطة بسيارة سير أوستاس ،
فاني خارج الآن .

وكان المتكلم هو باجيit .
واعتذررت ، ولكنـه لـم يـعـرـفـنـي ، وـلـم يـأـتـنـي مـنـاـصـاـ منـقـبـولـ حتىـ لاـ أـثـيرـ شـكـوكـهـ .
وتوقفـتـ بـنـاـ السـيـارـةـ أـمـامـ مـبـنـىـ المـحـطةـ ، وـأـتـىـ أـحـدـ الـحـالـيـنـ فـعـمـلـ حـقـيقـيـ ،
وـمـدـدـتـ يـدـيـ إـلـىـ بـاجـيـتـ أـصـافـحـهـ وـاشـكـرـهـ ، وـلـكـنـهـ قـالـ :
ـ إـنـ لـديـ مـتـسـعـاـ مـنـ الـوقـتـ فـلـابـدـ إـنـ أـصـبـحـكـ إـلـىـ دـاـخـلـ المـحـطةـ إـلـىـ
يـتـحـرـرـكـ القـطـارـ .

وـهـكـذـاـ صـبـنـيـ حـتـىـ اـسـتـوـيـتـ جـالـسـةـ فـيـ مـقـصـورـتـيـ ، وـوـقـفـ مـعـ سـوزـانـ
عـلـىـ رـصـيفـ المـحـطةـ يـتـحـدـثـانـ إـلـىـ ، وـلـكـنـيـ كـنـتـ لـاهـيـ عـنـهـاـ لـأـكـادـ أـفـقـهـ حـرـفاـ
ماـ يـقـولـانـ .

كـيـفـ أـخـلـاصـ مـنـ هـذـهـ الـورـطـةـ؟.. اـنـتـيـ لـمـ اـكـنـ أـنـوـيـ السـفـرـ إـلـىـ دـيـرـبـانـ ،
وـلـكـنـ وـجـودـ بـاجـيـتـ يـحـولـ دـوـنـيـ وـالتـسـلـلـ مـنـ القـطـارـ ، فـمـاـ الـعـمـلـ؟.. مـاـ الـعـمـلـ؟..
وـيـبـدـوـ اـنـ سـوزـانـ هـيـ الأـخـرـىـ كـانـتـ تـفـكـرـ فـيـ طـرـيـقـةـ تـنـقـذـنـيـ بـهـاـ مـنـ
هـذـهـ الـورـطـةـ

تـطـلـعـتـ إـلـىـ سـاعـتـهاـ وـقـالـتـ : سـيـتـحـرـرـكـ قـطـارـكـ بـعـدـ خـمـسـ دـقـائـقـ .. إـنـهاـ رـحـلـةـ
طـوـيـلـةـ شـاقـةـ ، وـسـوـفـ تـعـانـيـنـ مـنـ الـحرـ ، فـهـلـ اـتـيـتـ مـعـكـ بـقـنـيـنـةـ كـلـوـنـيـاـ؟

وـفـهـمـتـ مـاـ لـمـ يـرـمـيـ إـلـيـ فـقـدـ كـانـتـ هـيـ نـفـسـهـاـ الـيـ زـوـدـتـيـ بـقـنـيـنـةـ كـلـوـنـيـاـ .
فـهـتـفـتـ فـيـ رـنـةـ أـسـفـ

ـ يـاـ إـلـهـيـ أـ . لـقـدـ نـسـيـتـ .

وـتـحـولـتـ سـوزـانـ إـلـىـ بـاجـيـتـ وـقـالـتـ لـهـ :

ـ أـمـامـ المـحـطةـ صـيـدـلـيـةـ فـأـسـرـعـ وـاـشـتـرـ قـنـيـنـةـ كـلـوـنـيـاـ .

قـالـ مـعـرـضاـ وـلـكـنـ الـوقـتـ ضـيـقـ .

ـ اـمـامـكـ اـرـبـعـ دـقـائـقـ فـإـذـاـ أـسـرـعـتـ عـدـتـ فـيـ الـوقـتـ الـمـنـاسـبـ .

وـتـلـكـاـ بـاجـيـتـ وـرـدـدـ ، وـلـكـنـ لـيـدـيـ بـلـيـرـ بـلـمـجـتـهـ الـأـمـرـةـ صـرـخـتـ فـيـهـ :

ـ هـيـاـ .. تـحـرـرـكـ اـسـرـعـ . اـسـرـعـ .

ولم يسع باجيت إلا ان يلبي امرها .
اسرع بارول عبر الرصيف حتى خرج من فناء المحطة .

و هتفت بي سوزان : والآن اخرجي من الباب الثاني للمركبة ، و انزل على الرصيف المقابل و تواري عن الانظار ، فان باجيت لن يعود إلا بعد ان يتحرك القطار .. أما ثيابك فلا تهتمي بها . فيمكنك ان تشتري غيرها على حسابي . اما انا فسأظل واقفة بجانب نافذة المقصورة انتظاراً لأنني احدث اليك .

واسرعت انفذ المؤامرة .. في خلال ثلات ثوان كنت متوازية وراء أحد الأعمدة على الرصيف المقابل .

ونجحت الخطة ، و تحرك القطار وباجيت قادم يلهث ركضاً عند باب المحطة . ولو حلت سوزان يدها كأنها تودعني والقطار يبتعد ويزيد من سرعته رويداً رويداً .

ولحق بها باجيت وفي يده قنينة الكلونيا ، فالتفتت اليه سوزان قائلة
ـ آه .. إنك تأخرت .. هذا شيء يؤسف له ..

وفيها أنا أخرج من باب المحطة مهرولة اصطدمت برجل ضئيل الجسم ذي أنف ضخم لا يتناسب مع وجهه الصغير ، فاعتذررت اليه ، وتابعت طريقي .

الفصل التاسع عشر

لم أجده صعوبة في تنفيذ خطيق ، فقد اهتديت بسهولة الى فندق صغير في أحد أركان المدينة .
وغادرت الفندق في الصباح الباكر وذهبت إلى المدينة لأشتري مجموعة من الفساتين الرخيصة وقبعة أخفى بها معالم وجهي .
ولم فرغت من شراء ما احتاج اليه ركبت الترام ، ومضيت إلى إحدى الضواحي الريفية ، ورحت أتشوي في الشوارع الهدئة استمتع بالهواء النقي حتى يحين وقت سفر سير أوستاس .
وانطففت في شارع جانبي ، ثم لاحظت ان رباط حذائي قد انخل فالمخنيت أربطه . وبرز من المنطفور رأسي شخص كاد ان يصطدم بي وانا منجنيت فوق الخداء فرفع قبعته وتم ببعض الكلمات الاعتذار ، ومضى في طريقه .
وخيال لي ان وجهه مألوف لدى ، وفجأة ذكرت هذا الوجه .
إنه نفس الشخص الضئيل الجسم ذي الأنف الكبير والذي اصطدم بي عند مقادري المحطة .
ما الذي أتى بهذا الشخص إلى هذه الضاحية القصبة؟ .. هل تراه يتبع خطواتي؟ ..
وتطلعت في ساعي واتجهت إلى محطة الترام ، ولمحت قطراءً يكاد يتحرك ،

فأسرعت اركض للحق به . وسمعت وقع خطوات ترکض في أعقابي ، فالتفت خلسة ، فإذا بذني الأنف الكبير هو الذي يتعقبني . وفي اللحظة التي بلفت فيها الترام وتعلقت به ، كان هو الآخر قد حدا حذوي وتعلق بنفس الترام .

توى أكان الأمر مجرد صدفة أخرى ، أم انه يطاردني ويتعقبني ؟ .

وأردت أن أستوثق من الأمر ، فشدلت حبل جرس الترام فجاءه قبل ان يبلغ المحطة التالية ، ونزلت فيها ، ولم يكن في وسسه أن يحنو حذوي وإلا كشف نفسه .

وتواريت في أحد الأركان ، ثم رأيته قادماً من ناحية المحطة التالية ، وهو يوسع الخطي لاهشاً ، وعيناه تدوران في أرجاء المكان بحثاً عنـي .

ولم يعد في الأمر خفاء بعد هذا .. إنه سجاسوس يتتبع خطواتي . وإذا فجعـاي بـاجـيـتـ يـعـرـفـ الآـنـ آـنـيـ لمـ أـسـافـرـ إـلـىـ دـيرـبـانـ ، فأـظـلـقـ هـذـاـ شـخـصـ فيـ أـورـيـ .

وركبت الترام التالي ، وفعل مطاردي مثلـاـ فعلـتـ ..

وأيقنت عندئذ أن المسألة ليست قاصرة على بـاجـيـتـ وـحـدهـ ، إذ لا شكـ أنـيـ إـزـاءـ مـنـظـمةـ قـوـيـةـ يـرـأسـهاـ هـذـاـ «ـالـكـوـلـونـيـلـ»ـ ،ـ القـامـضـ ،ـ وـلـهـاـ أـعـوـانـ وـأـنـصـارـ فيـ كـلـ أـنـحـاءـ الـبـلـادـ .

واستمدت الى ذهني بعض ما دار من حديث في البـاـخـرـةـ «ـقـصـرـ كـيلـورـدنـ»ـ وـكـيـفـ كـانـواـ يـتـحـمـلـونـ عـنـ الـاضـرـابـ الشـامـلـ الـذـيـ سـيـقـومـبـهـ العـمـالـ»ـ ،ـ وـحـوـادـثـ التـخـرـيـبـ الـقـيـ وـقـعـتـ درـنـ انـ يـكـلـشـفـ الشـرـطـةـ مـرـتـكـبـيـهاـ .

لا شكـ انـ «ـالـكـوـلـونـيـلـ»ـ ،ـ القـامـضـ وـرـاءـ هـذـهـ الـأـحـدـاثـ كـلـهاـ .

ويبلغ الترام محطة شارع اديري فنزلت منه ، ومضيت أسيـرـ علىـ الـأـفـرـيزـ الأـيـسـرـ ،ـ وـلـمـ أـحـاـوـلـ أـنـ أـخـتـلـسـ النـظـرـ وـرـأـيـ ،ـ فـقـدـ كـنـتـ موـقـدةـ منـ أـنـ

مطاردي في أعقابي .

ودخلت إلى كافيتيريا مرت بها في طريقني ، وجلست إلى طاولة البار ، وطلبت « آيس كريم بالصودا » ، وأخذت ارشيفها على مهل ورأيت مطاردي يدخل ورائي ويجلس إلى مائدة قريبة من باب الكافيتيريا .
وفجأة هب مطاردي واقفاً وخرج إلى الطريق .

وخطر لي انه لا بد ان يكون قد خرج لأنه لم يخرج في الطريق شخصاً ما وأراد ان يتتحدث إليه .

وتطلعت إلى الخارج ورأيت مطاردي يتتحدث إلى شخص آخر ، وما كان هذا الشخص إلا جاي باجيته .

وبالطبع أخذت برهة ، وبيدو ان باجيته أصدر اليه تعليماته إذ ما لبست ان رأيته ينصرف إلى شأنه بعد ان تطلع في ساعته .

ولشدة دهشتي رأيت مطاردي يعبر الطريق ويتوجه إلى شرطي كان واقفاً على الأفريز المقابل .

وتحدث الرجل طويلاً إلى الشرطي ، وكان في خلال ذلك ، يشير إلى الكافيتيريا .

توى ما الذي يريد مطاردي من الشرطي ؟

وفجأة وضحت الخطة لي وانجلت أمام عيني .

إنها نفس المؤامرة الجهنمية القديمة : فكما اتهموا هاري رايبورن من قبل بأنه هو الذي سرق ماسات دي بيروس ولقوا له هذه التهمة الزائفة - فأنهم يريدون الآن أن يلصقوا بي أية تهمة .. تهمة نشل مثلاً - حتى يقبض على الشرطي ويزبحونه من الطريق .

وأسرعت إلى البار ونقدت البائع ثمن « الآيس كريم » ، ولشدة دهشتي وجدت في حقيقتي حين فتحتها محفظة محسنة بأوراق النقد .

يالدهائهم وبراعتهم ! لقد استطاعوا ان يدسوا المحفظة في حقيقتي ليتخدوا

منها دليلاً على اني نسلتها من مطاردي ، وبذلك يطبق علي الاتهام .

وخرجت من السكافير يا مسرعة ورأيت مطاردي وفي رفقة الشرطي يتوجهان إلى ثاحبي ، فأسرعت أركض صوب محطة السكة الحديد ودخلت إلى فناء المحطة من الباب الرئيسي في شارع أدبلي ، ثم نفذت من الباب الجانبي ، ولكن مطاردي لم يحاول ان يلحق بي إذ وقع في روعه اني سأدور حول المبني لأدخل مرة أخرى من الباب الرئيسي لاستقل أي قطار على وشك السفر ، ولذلك آثر ان يرتد مع الشرطي وان يعودا ثانية إلى الباب الرئيسي ، ولكنني ما كدت أراهما يفعلان ذلك حتى نفذت من الباب الجانبي وعدت إلى المحطة .

ورأيت قطاراً يتحرك ، وأدركت على الفور انه القطار الذي يستقله سير اوستاس إذ كان هذا هو موعد مسيره ، وقفزت إليه .

ورآني مطاردي والشرطي أثب إلى القطار فأسرعا في أثري ، ولكن كانت مستحيلًا ان يلحقا بي ، وقد بدأ القطار يزيد من سرعته ويطوي الأرض .

واتنى قاطع التذاكر وقلت له

- إني سكرتيرة سير اوستاس بيدلر ، فأرجوك ان تذهب بي إلى حجرته .

وفوجى سير اوستاس وأصحابه حين دخلت عليهم .

وهتف الكولونيل ريس :

عجبًا ! .. أنت هنا ... كنت أظن انك سافرت ليلة الأمس إلى ديربان ! .

وضحك سير اوستاس وقال :

- إني سعيد بعودتك ، وقد سمعت سكرتيري الدمية مس بيتغرو ، فإني لفطر دمامتها لم أستطع ان أمسك بيدها او أربت على وجنتها . أما الآن

فها أنت ذي قد جئت نجدة لي ، فهيا أقترب لأربت على وجنتك
وأغرقنا جميعاً في الضحك .

وحين دخلت علينا مس بيتجروا ، بعد لحظات ، ورأته عراها
اضطراب مفاجئ ، وأفلتت أصابعها قلم الرصاص الذي كانت ممسكة به
فانكسر منه .

لماذا اضطربت ؟ .. نعم ، لماذا ؟ .. كان هذا سرًا مستغلنا لم أجده
له تعليلًا .

الفصل العشرون

(نقلة عن مذكرات سير اوستاوس بيدلر)

ها أنذا الآن مسافر إلى روسييا ومعي ثلاثة سكرتيرات . وقد احتكر رئيس لنفسه الفتاقين الجميلتين ، وتركني مع تملك الدمية مس بینجرو التي نكبت بها .

إن هناك شيئاً عجيباً غامضاً ي شأن أن يمتحنـ .. لقد ذكرت لي ليلة الأمس أنها مسافرة إلى ديربان ، ثم إذا بها تظهر فجأة في اليوم التالي ، وتفتر إلى القطار في اللحظة الأخيرة بعد ان تحرك .

ـ ؟ . وأين أمضت ليلتها ؟ .
وقد أكد لي بأجبيت انه شيعها إلى المحطة ، وإن القطار تحرك بها
أمام عينيه

الحق ان لدى حفنة عجيبة من السكرتيريات

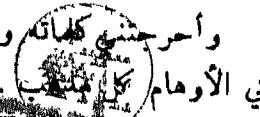
السكرتير الأول قاتل سفاح هارب من الشرطة .. والثاني سكير مدنـ سافر إلى فلورنسا ليتورط في بعض البرائـ او المؤامـات .. والسكرتيرة الثالثة فتاة حسناء لها القدرة على ان توجد في مـكانـين مختلفـين في وقت واحد : في ديربان وفي الوقت ذاته في كيب تاون . أما السـكرـتـيرـة الرابـعة مـس بـینـجـروـ

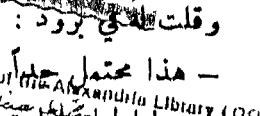
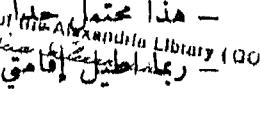
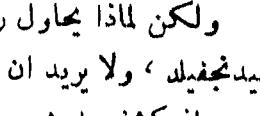
فلا شك أنها عضو في إحدى المصابات .
وضفت ذرعاً بهذه الحواطير التي انهالت علي ففضيت الى شرفة المركبة الأخيرة ، ورأيت الكولونيل رئيس محاطاً « بحربيه » وهو يسرد عليهم حكاياته التافهة وكانت ليدي بلير تحمل آلة تصوير وهي منهكمة في التقاط عشرات الصور لكل ما حولها - حتى للقطار الذي تستقله .

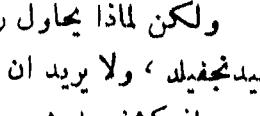
وسألته ليدي بلير إلى متى تنوي أن تظل في مدينة الشلالات يا سير أوستاس؟ ..

فأجبت في حذر : هذا يتوقف على الحالة في جوهانسبرج . فاني لا أريد ان ازورها في الوقت الحاضر لأنني اعتقاد ان الثورة وشيكة الاندلاع .

فابتسم الكولونيل رئيس وقال في استعلاء :
ـ إن مخاوفك لا أساس لها يا سير اوستاس، في جوهانسبرج مدينة هادئة .

وآخر جندي كلاته وقد بدلت امام النساء الحاضرات جباناً رعديداً تذهب في الأوهام  .

وقلت  : أحسبك تنوي ان تزور جوهانسبرج ؟
ـ هذا محتمل جملأ  ،  أصعب بك اليها .

 ربما اعطيتني إقامتي في مدينة الشلالات .

ولكن لماذا يحاول رئيس ان يغريني بزيارة جوهانسبرج ؟ لعله مغرم بأن بيده نجفيلاً ، ولا يريد ان يفترق عنها ، إذ انه يعلم انها ستظل في صحيفتي .
وإذ كشف لي شيء من غموض آن بيده نجفيلاً ، وقد لاح لي انها تعمل محررة في صحيفة الدليل بادجيت ، وقد بعثت وهي في مدينة « دى آر » بالعديد من البرقيات الى صحيفتها .

وقد خيل إلي من الثروة التي تناهت إلى اذني طوال الليل وهي تحدث ليدي بلير في مقصورتها وتتلئ عليها مقالاتها أنها كانت منذ اسابيع تطارد

الرجل ذا السترة الرمادية ، وإنها لم تكن تعرف أنه يشاطرها نفس الرحلة في الباخرة كيلوردن .

وفهمت أيضاً من حديثها مع ليدي بلير أنها اكتشفت شخصية الأجنبية التي قتلت في البيت الذي املكه في مارلو، أي في فيلا الطاحونة . وقد عرفت أنها راقصة روسية شديدة تدعى فادينا .

ومهما يكن من الأمر فقد قالت في برقيتها للصحيفة إن شرطة جنوب إفريقيا تبحث عن الرجل ذي السترة الرمادية ، وأن أوصافه وزعت على جميع رجال البوليس .

وفي كل محطة نقف فيها تشتري هي وليدي بلير تلك الدمى الصغيرة الحقيقة التي يصنعها المواطنون من أهل البلاد – حتى قد بلغ عدد ما اشتريته منها حوالي خمسين دمية .

ترى ما سر غرامهن بهذه الدمى المضحكة التافهة ، المصنوعة بطريقة بدائية سخيفة .

الفصل الحادي والعشرون

(آن بيدينجفيلد تتابع قصة ١)

كان البائعون ينقضون على القطار ومهما من الخشب تفشل الحيوانات
التي تخرج بها الشمامات .
والذي حدث بعد هذا اتنا بدأنا نشتري هذه الدمى في كل محطة تقف فيها ،
بل أخذنا نتنافس على الشراء مأخوذتين مبهورتين .

وفي الليلة التي انضمت فيها إلى جماعة سير اوستاس بيدلر في القطار سهرت
في حجارة سوزان أروي لها تفاصيل الأحداث التي مرت بي ، وكيف أن
المنظمة السرية أصبحت تتعقب خطواتي في وحشية ، وكيف انهم يرمون إلى
اختطافي لينتزعوا مني بعض المعلومات .

وطرأت بيالي فكرة جديدة وقلت لسوزان :
-- ولكن لم لا يكون باجيت هو نفسه « الكولونيل » الغامض ، رئيس
العصابة الخفي .

ولكن سوزان أبى ان توافق على هذه الفكرة ، قائلة ان باجيت ضعيف
الشخصية ، فلا يمكن ان يسيطر على هذه المنظمة الإجرامية القوية .
وقلت : حسبي ان يكون الرئيس المدبر المفكك : يخطط ويدبر .

وفجأة قلت : وعلى فكرة . كم أتمنى ان اعرف كيف جمع سير او ستاس ثروته الطائلة .

- يا إلهي ! أما زلت تشكي فيدي ؟

- أني لا أملك إلا أن أشك في كل إنسان .

فقالت سوزان : لقد ترافق إلي انه جمع ثروته بوسيلة يكره أن يتمحدث عنها .

- لعلها إذاً وسيلة ملتوية غير شريفة .

- هذا جائز

وبدأنا بعد ذلك نناقش موقفي بالنسبة إلى صحة دليلي بادجيت .

ان رأسى زاخر بالمعلومات ، فلماذا لا أبعث بها إلى صحيقى للنشرها ؟

لقد أكتشفت ان هاري رايبرون هو الرجل ذو السلطة الرمادية ، وان كنت أعلم انه بريء من تهمة قتل الراقصة الروسية غادينا . ونشر هذه القصة لنزيد موقفي سوءاً لأن جسم رجال الشرطة يهدون في أمره .

وهكذا استقر رأيي على أن أبعث إلى دليلي بادجيت بكل ما لدى من معلومات .

ونشرت الدليلي بادجيت التحقيق الذي بعثت به إليها تحت عنوانين بارزة .

وجامعتني برقية من اللورد ناسبي يهنئني على توفيقى ونجاحى .

الفصل الثاني والعشرون

وصلنا إلى بولا واير صباح السبت .

وكان سير اوستاس ساخطاً عصبياً ، وأعتقد أن دمي الحيوانات التي اشتريتها أنا وسوزان هي التي أثارت حنقه ، وخاصة تلك الزرافه الخشبية الكبيرة الحجم التي عهدنا اليه بحملها .

ويجب ان اعترف ان حل خمسين دمية من هذا الطراز كان كفيلاً بان يربكنا ويضايقنا .

وقد حل أحد الحالين جزءاً من هذه الدمى كما حل الكولونيل ريس بعضها .
وكان من نصيب مس بيتجر و شيئاً منها أيضاً .

وبعد الظهر ذهبت مع كولونيل ريس نزور قبر رودس .
أخذت السيارة الفورم العتيقة تشق بينما الطريق إلى جبل ماتابوس ونحن صامتان لا نكاد نتبادل كلمة واحدة .

وانتهينا إلى منطقة مليئة بصخور ضخمة ، فقلت وانا اتأملها :
ـ من يرى هذه المنطقة البدائية يخيل اليه أنها كانت مسكونة في قديم الأزمان بالجان والعمالقة
فقال الكولونيل ريس مؤمناً : صدقت .. وافريقيا كلها على هذا النمط :
وحشية بدانية كأنها بلاد المردة .

ونزلنا من السيارة وأخذنا نشب من صخرة إلى صخرة لتبليغ القمة حيث يقوم النصب التذكاري « لرودس » .

وفيحاة كففنا عن المسير ، ووقف الكولونييل ريس في مواجهي ،
وسألني :

ـ من آن بيدينجفيلد . ما الذي جاء بك إلى هذه البلاد ؟
ـ نورية تطوف بارجاء العالم .
ـ إني لا أصدق هذا .. حكاية إنك مندوبة صحيفة مجرد ذريعة للتمويل ..
ما هي حقيقة مهمتك ؟

وأشعرت بوجهي قليلاً حق لا تتلاقي عيناي بعينيه وقلت له :
ـ كولونييل ريس .. هل لك ان تصارحي بما أتيت أنت تفعله في
هذه البلاد ؟

فأجاب في بساطة :

ـ أتيت سعياً وراء الجد والطموح .
ـ إنهم يقولون إنك تعمل في المخابرات ، فهل هذا صحيح ؟
ـ أحب أن أوكل لك يا مس. آن إنني أتيت إلى هذه البلاد كفرد عادي
لا شأن له بأي عمل رسمي .

وعدنا إلى السيارة بعد أن شاهدنا مقبرة رودس ، وفي طريق العودة مررت بأحد المطاعم ، فاقترب ريس ان تتناول قدحاً من الشاي مع شيء من الفطائر .

وفوجئت بأن احتشدت حولنا مجموعة من القطط الجائمة ، وهي تتوه بشدة وترنولينا بانظارها . فرميت اليها بعض قطع من الفطيرة ، فالتمتمت بها بسرعة .

ومضى الكولونييل ريس إلى صاحب المطعم ثم عاد يحمل اليها صحنًا من اللبن والخبز ، فتهاافت عليه .

وفي السيارة قال لي :

ـ آن .. إني في حاجة إليك .. هل تفروجيني ؟

وكانـتـ كـلمـاتـهـ مـفـاجـأـةـ أـذـلـتـنـيـ .

رأـبـيـتـ مـتـلـعـثـةـ :ـ كـلاـ ..ـ كـلاـ ..ـ لـاـ أـسـطـيعـ .

ـ وـمـاـ السـبـبـ ؟

وأـرـدـتـ أـنـ أـكـونـ صـرـيـحـةـ لـاـ أـكـتمـ دـوـنـهـ شـيـئـاـ فـقـلـتـ :

ـ هـنـاكـ شـخـصـ آـخـرـ

فـهـزـ رـأـسـهـ وـغـمـ :

ـ فـهـمـتـ ..ـ وـهـلـ كـانـ هـذـاـ الشـخـصـ مـوـجـودـاـ فـيـ حـيـائـكـ قـبـلـ أـنـ

تـسـتـقـلـ بـالـبـاخـرـةـ ؟

ـ كـلاـ ..ـ لـقـدـ حدـثـ ذـلـكـ بـعـدـ رـكـوبـيـ الـبـاخـرـةـ .

وـقـسـالـ فـيـ صـوتـ مـخـنـقـ :ـ فـهـمـتـ ..ـ الـآنـ عـرـفـتـ مـاـ يـمـبـ عـلـيـ

أـنـ أـفـعـلـهـ .

ـ مـاـذـاـ تـعـنـيـ ؟

ـ لـاـ شـيـءـ ..ـ لـاـ شـيـءـ !

وـسـادـنـاـ الصـمـتـ بـعـدـ هـذـاـ ،ـ فـلـمـ تـبـادـلـ كـلـمـةـ وـاحـدـةـ طـوـالـ رـحـلـةـ المـوـدةـ

إـلـىـ الـفـنـدـقـ .

* * *

وـماـ اـنـ دـخـلـتـ عـلـىـ سـوزـانـ غـرـفـتـهـاـ فـيـ الـفـنـدـقـ حـقـ اـرـقـيـتـ عـلـىـ صـدـرـهـاـ ،ـ وـانـفـجـرـتـ أـبـكـيـ فـيـ مـرـارـةـ .

وـرـاحـتـ تـسـأـلـيـ عـمـاـ أـلـمـ بـيـ ،ـ فـمـدـقـتـهـاـ عـنـ الـقـطـطـ الـقـيـ قـوـهـ جـوـعـاـ ،ـ وـلـكـنـ سـمـدـيـيـ لـمـ يـخـدـعـهـاـ ،ـ وـقـدـ سـأـلـتـيـ :

- وهل هذه القحطط ، هي سبب هذه الرعشة ، التي تهز بدنك هزاً عنيفاً؟ ..

- إن أعصابي منهارة .. الوساوس تلا صدري وأشعر كأن كارثة رهيبة توشك أن تنزل بي .

- دعك من هذه الأوهام يا آن ، ودعينا نتحدث عن شيء طريف مهجو .. فلنتحدث عن الماسات مثلًا .
فتساءلت : وماذا عنها؟

- أعتقد أن احتفاظي بها ليس من الحكمة في شيء ، فالناس يعرفون مدى الصدقة التي بيننا ، وليس أهون عندهم من أن يعتقدوا إني أنا التي أحافظ بها لدلي .

- ولكن لا يمكن أن يتطرق إلى ظنهم أنها خبأة داخل لفافة فيلم .
- فلندع الأمر الآن .

وانتهينا إلى مدينة الشلالات ، وذهبنا إلى الفندق واغسلنا .
وبعد تناول الشاي ركبنا التrolley ، وأخذت جماعة من الزفوج تدفعه صوب الجسر الذي يفضي إلى الشلالات .

كان المشهد رائعًا : الهوة عميقة لا قرار لها ، والمياه المتقدقة من أسفلها ،
وغاللة الشاش المناثر ، وبحرى النهر وهو يتدقق بسرعة مخيفة ويتكسر على الصخور المائلة

وعبرة الجسر ، ثم مشينا على الطريق الضيق الذي تحفه الصخور البيضاء من جانبيه ، والذي يدور حول مجاري الشلال حتى ينتهي إلى الساحة الشاسعة التي تظل على الهوة المميفة .

وقال الكولونييل ريس : أتريدون ان تهبطوا إلى أخدود النخيل؟ أم تريدون ان ترجعوا الأمر إلى الغد؟ قد يكون الهبوط هناً ميسوراً ، أم الصعود فتعصب شاق .

وآثرنا ان نرجىء هذه الرحلة إلى الصباح .
وقال الكولونيل ريس . أتَبُوْنَ أَنْ تَشَاهِدُوا الْفَاجِةَ الَّتِي تَتَنَاهِرُ فَوْقَهَا
مِيَاهَ الشَّلَالِ ؟

وأخيراً عدنا إلى الفندق فتمشينا ، ثم أورينا إلى مخادعنا ، ولكن النّسوم
سيافاني ، وسمعت نقرات على باب غرفي ، ودخل أحد سعاة الفندق يحمل إلى
رسالة مظلوية . وكان هذا نصها :

« يحب ان أراك .. لا أستطيع طبعاً ان أظهر في الفندق . هل لك ان
تقابلني في ساحة الشلال المجاور لأخذود التخييل . إحياء لذكرى المقصورة
رقم ١٧ ، أرجوك أن تلبـي رجائي - الشخص الذي عرفته باسم هاري
رايبورن » .

إذاً فرايبورن هنا في مدينة الشلالات ، يتوارى فيها عن أنظار رجال
الشرطة الذين يطاردونه .

ولم أتردد لحظة واحدة ، وأسرعـت أتسـلـلـ من غرـفـي ، ومررت بغرفة سير
أوستـاسـ وسمـعـتـ يـمـليـ خطـابـاـ علىـ سـكـرـتـيرـتـهـ مـسـ بـيـتـجـرـوـ ، أما الكولونيل ريس
فلم يكنـ لاـ فيـ غـرـفـتـهـ وـلاـ فيـ قـاعـةـ الـجلـوسـ .

وتسللت خارجةـ منـ الفندـقـ دونـ انـ يـشـعـرـ بـيـ أحدـ وـقـابـتـ طـرـيـقـيـ إـلـىـ السـاحـةـ
المـشـرـفةـ عـلـىـ الـهوـاءـ وـأـخـدـودـ التـخيـيلـ .

مشـيـتـ سـتـ خطـواتـ ، ثـمـ توـقـفتـ ، وـتـسـمـرـتـ مـكـانـيـ .
لـقـدـ سـمـعـتـ خـشـخـشـةـ وـرـائـيـ ..

وـقـدـمـتـ خـطـوةـ أـخـرىـ ، وـسـمـعـتـ نـفـسـ الـخـشـخـشـةـ .
ثـمـ رـأـيـتـ شـبـحـ رـجـلـ يـبـرـزـ فـجـاءـ فـيـ أـحـشـاءـ الـظـلـامـ ، وـيـقـفـزـ فـيـ الـهـوـاءـ مـحاـولاـ

أن ينقض علي

كان الظلام دامساً فلم أتبين وجهه ، وكان كل ما أيقنت منه انه مدید القامة
يرقدي ثياباً أوروبيّة .

وانطلقت أركض وهو في أعقابي . وفجأة شعرت اني أخطو في الفضاء ،
وان قدمي لم تستقر على اديم الأرض .

ومن ورائي سمعت الرجل يطلق ضحكة داوية .

كانت ضحكة رهيبة .. ضحكة شريرة شيطانية .

وببدأت أهوى إلى أسفل .. الى أسفل .. الى أسفل .. وصدى الضحكة
الشيطانية يسلك سمعي .

الفصل الثالث والعشرون

أخذت أستيقن من الأغماء في بطيء وألم .

شعرت برأسبي تطن وتدق ، وعندما حاولت ان أحرك ذراعي الأيسر سرى فيه ألم حاد .

ثم أخذ النوم يراودني مضطرباً ، حق غلبي النعاس أخيراً .

وصحوت مرة أخرى وقد الجاب السكايبس عن رأسي ، وتحلت الصور الباهنة المداخلة ، وذكرت كل ما حدث . ثقيلة رسالة هاري ، وأمررت إلى لفائه في ساحة الشلالات ، ثم ذلك الشبح الذي يرزا إلى من أحشاء الظلام .. وركضت هاربة . ثم إذا بقدمي تخطوا إلى القضاء ، وأعودى في الماوية .

وخيّل إلى لأول وهلة اني وحدي في هذه الغرفة ، ولكنني ما لبست أن أدركت ان هناك إنساناً يجلس على مقعد بين سريري وبين الباب ، ولكن صاحب الوجه وقد رأني الحراك ، نهض واقفاً واقترب مني ومال فوق وجهي يتطلع إلى .

وسألي : كيف حالك الآن ! هل انت بخير ؟

وعرفته على الفور . إنه هاري رايبورن !

وعجزت عن النطق ، وقد أخذت الدموع تنساب على وجهي .

وهمس في صوت رقيق حان .

— لا تبكي يا آن .. إنك الآن في أمان .

ثم مضى عني وعاد يحمل إلى قدحًا من اللبن .

وقال : لا توجهني إلى الآن أي سؤال ، بل تامي واستريحني .. وفيما بعد سوف نتحدث طويلاً .

وأخذ بيدي بين راحتيه وهمس :

— أغمض عينيك .. تامي .

وأطبقت عيني ، وهدأت أنفاسي وانتظمت ، وما لبثت أن غرفت في النوم .

وحين صبحوت كان المساء قد هبط .

ورأيت إمرأة عجوزاً سوداء الوجه ، تجلس بالقرب مني .. وتبتسم في وجهي في حنان .

ثم شرحت بخطوات تقترب ، وجاء هاري إلى الفرفة ، وانسحبت المرأة

وسألني : يبدو إنك استعدت قوتك الآن ؟

— إنني طبعاً أحسن حالاً ، ولكن أين أنا ؟

— إنك في جزيرة صغيرة في نهر الزمبيزي ، تبعد أربعة أميال عن مدينة الشلالات .

— وهل يعرف أصدقائي الذي هنا ؟

فهز رأسه نفياً وأردف : يحسن بك أن لا تبعشني إليهم بكلمة إلا بعد أن تستعيدي قوتك .

— كم مضى على هنا ؟

وأدهشتني إجابته ، إذ قال : شهر تقريباً .. ولكن من هم أصدقاؤك هؤلاء ؟ ..

— سوزان .. أعني ليدي بيلير وسير اوستاس بيدلر والكولونيل ريس ..
ولكن كيف أفقدتني ؟ كيف عثرت علي ؟
— معلقة فوق شجرة تشرف على الماء وثيابك مشتبكة بالأغصان . ولو لا
اني مررت صدفة بهذا المكان لكان من الممكن ..

— صدفة ؟ والرسالة التي بعشت بها إلى ؟
— اني لم أبعث اليك بأي رسالة . إنها مزيفة .
فعدت أسأله :
— ولكن ما الذي اتي بك الى هذه الجزيرة المنعزلة ؟
— لأن فيها مسكنى .. إبني أقيم هنا منذ وضعت الحرب أوزارها .
وكلت أتجهول بالقرب من الشلالات ، فسمعتك تصرخين ، ورأيتكم معلقة
على الشجرة
وعدت أسأله :
— ولكن لماذا لم تخطر أصدقائي بأنك عثرت علي .

فسكت هنئة ثم قال :
— يبدو لي يامن أن إنك لا تدركين مدى الخطأ المدقع بك . إن
الذي استدرجك الى الموت بهذه الرسالة المزيفة شخص يعيش في الفندق ..
بالقرب منك .. ومن المحتمل جداً ان يكون عدوكم واحداً من هؤلاء الأصدقاء
المزعومين . فكيف بعد هذا أخطرهم بوجودك ؟
— حسناً .. لا داعي إذا لإخبارهم ، ولن أحارو ان أتصل بهم .
— أتريدين ان أؤدي إليك نصيحة ؟
— إبني مصنفية إليك
— نصيحتي إليك ان « تتظاهري » بأنك مفقودة .. أعني لا داعي لأن
تتصلي بأصدقائك .. دعيمهم يعتقدون انك مت
واستطعته . وعندما تسترددين قواك سافري الى بييرا واستقللي الباخرة من

هناك وعودي الى المجلة .

وقلت في ازدراه : ألا يكون هذا التصرف مني جيناً ونخوراً ؟

- إنك تتكلمين كالطفلة الصغيرة الساذجة .

وقلت في غضب : إنني لست طفلة صغيرة ! .. إنني إمرأة .. إمرأة ناضجة ! ..

فتأنمني بنظرة فاحصة ، وغمغم بصوت خافت :

- إنك والحق إمرأة ناضجة ، وكان الله في عونى

ثم انبعث واقفاً واستدار فجأة وغادر الكوخ .

* * *

يوماً بعد يوم بدأت أتمثل للشفاء وأسترده قواي .

وتتابعت الأيام ونحن نعيش معها ، ونتناول الطعام معها ، وتناقش ونختلف
ونتشاجر أحياناً

وكنت أعلم أن يوم الرحيل سوف يحل عاجلاً .

وذات يوم كنت جالسة عند باب الكوخ وشعرت الطويل منسدل على كتفي
ومنكبي ، إذ لم يكن لدى دبابيس أو مشابك اتبته بها .

وفطنت فجأة إلى انه كان يتأنمني بنظرة حالية . رقال :

- أتعلمين يا آن إنك تشتهين بهذا الشعر الطويل المنسدل حورية خرجت
فجأة من أعماق البحر .

ويسطط إلى يده ولمس شعري ، وجرت أنامله على جدائلي ، فسرت في أوصالي
رجمة هرت بدني . ثم اذا به ينبعث واقفاً وهو يسب ويلمعن :

- اسمعي .. يجب ان تسافري غداً .. إني لم أعد احتمل بقامك هنا يوماً

واحداً ! إنني لست الا مجرد بشر . نعم . يجب ان ترحل يا آن .

- أعرف ذلك .. ولكنك كنت سعيداً ،ليس كذلك ؟

- بل كنت أعيش في جحيم .. بالله عليك ، لماذا تعذبيوني ؟ .. لماذا تسخرين مني ؟ ..

- إني لا أسرع منك . اذا كنت تريدينني ان أبقى . فسوف أبقى .
يكفي ان تأمرني .

- آن .. لا تحاولي ان تستفزيني ا . هذه حال لا تطاف ا . ثم هل تدركين
من أنا ؟، إنتي مجرم يطاردني جميع رجال الشرطة . إنتي رجل هارب مطارد
لا يستقر في مكان واحد .. اما انت ففتاة جميلة .. أمامك الحب والشباب ،
وفي يوم ما سوف تتزوجين ، وتصبحين من أسعد النساء .. نعم . يحب أن
أنقذك من نفسك ومن نفسك .. غالباً يحب ان تسافري .. بل الليلة ان أمكن .
لم أعد أطيق ان أبقى معك تحت سقف واحد ساعة واحدة .

الفصل الرابع والعشرون

كان هاري رايبورن يرتجف اندفلاً وهو يردد هذه الكلمات
وقلت : وهبني رحلت فما يكون من شأنك ؟

- سأبقى هنا حتى أنتقم لك .. وحين اعرف اسم من حاول انت يقتلوك
سوف أدق عنقه وأقذف به الى هوة الشلال كا اراد ان يفعل بك .

- يجب ان لا تظلمه يا هاري ، انتي أخطأت الطريق فشيت في
اتجاه الماوية

- إنك واهمة في هذا يا آن ، وقد ذهبت الى نفس الموضع وتبينت
خطته الجهنمية ..

انك تعلمين ان هناك ممراً ضيقاً على رأس الهرة تحفه صخور بيضاء تظل
واضحة حتى في الليل ، لكيلا تضل خطى السائر ويختلطها الى الماوية ،
ولكن هذا القاتل الشيطاني نقل الصخور البيضاء بحيث جعلها تتبعه مباشرة
الى قاع الماوية

وبذلك كنت تسرين بين الصخور البيضاء ، متوجهة الى ستفك ، وانت
لا تعلمين .

اذأً فهي نية مبيضة لقتلي ؟

- تماماً . لقد أرادوا انت يقتلوك لأنهم يعتقدون انك تعرفين اكثر

ما ينبغي .

ثم أردف : واظن ان من حملك الآن ان تعرفي قصة حياتي .

* * *

وأنشا هاري رايبرون يروي لي تاريخ حياته .

انني ادعى هاري لوكلس ، اما هاري رايبروت فاسم مستعار مزيف .
وفي الجامعة التقى بزميلي جون ايديسي ، وهو ابن المليونير ايديسي صاحب
مناجم الذهب .

وكان جون شاباً متلافاً مولعاً بالقمار ، وطالما تورط في العديد من الفضائح ،
فيفرق نفسه في الديون ، او يصدر شيكات بغير رصيد ، فيبادر أبوه الى
سداد ديونه ، وينقذه من مخازيه . وضاق الأب يوماً يفعّال ابنه فطرده
من بيته .

وضاقت سبل العيش في وجه الابن ، فتخل عن الدراسة في كامبريدج ،
ورحل الى أمريكا الجنوبيّة ، ولما كانت اواصر الصدقة بيننا وثيقة متينة ،
فقد حذرت حذوه ، وصحته في رحلته ، وعشنا سوية في تلك البلاد نعاني
شظف العيش . واخيراً حالفنا الحظ ، فمثراً على منجم الماس في غينيا
البريطانية ، وادركتنا ان أبواب الثراء قد فتحت .

وأخذنا بعض عينات من الماس ، وسافرنا الى كمبرلي ، لنعرضها على
الخبراء لفحصها حتى يتبنوا مستواها . وهناك في كمبرلي التقينا بها
في الفندق ..

وأمسك هاري فجأة عن الكلام ، وتقلصت عضلات وجهه وتقبضت
أصابعه في ثورة وانفعال ، ثم استطرد :

كانت هذه المرأة تدعى آنيتا برونوبرج .. هذا هو اسمها الحقيقي ، وكانت

مثلاً ، وعلى غاية من الجمال والشباب التأثير المتدايق .
وكانت تحيط بأنينا هالة من الفوضى ضاعفت فنتتها في نظر هذين الشابين
اللذين جاءا من أعماق الأدغال .

وهكذا وقنا خن الاثنين - أنا وجون - في هواها ، وأدارت رأسينا ،
ومع ذلك لشدة إخلاصنا المتبادل كان كل منا على استعداد لأن يسحق قلبه ،
وأن يتخلّى عنها للأخر الذي تختاره زوجاً لها .

ولكن أنيتا كانت تبيت خطة أخرى خبيثة . لم تكن تحب أياً منا ،
ولم تكن تنوّي ان تقترن بأحدنا ، إذ كانت متزوجة فعلاً من رجل يشتغل
بصقل الماس ، ويعمل في شركة دي بيرس ، وإن كانت قد كتمت عنا نباً
زواجهما لفرض في نفسها .

وكنا طبعاً لفريط حبنا لها وافتئانا بها ، قد أفضينا إليها بخـبر المنجم
الذي عثرنا عليه .

وهكذا اتفقت أنيتا مع زوجها - ويدعى كارتون - وبمساعدته واشتراكه
وقدمت في كبارلي سرقة كبيرة واختفى جزء من الماس كانت شركة دي بيرس
قد سلمته إلى البنت لإرساله إلى إنجلترا .

وأقحمت الشبهات إلى هذين الشابين المفامرلين اللذين قدما من علينا البريطانية ،
والقى البوليس القبض علينا ، وفتشت أمتتنا ، وعثروا فيها على حفنة من
الماس ، وقلنا إنها عينات جئنا بها من منجمنا في غينيا ، وفحصها الخبراء فإذا
بها نفسها هي جزء من تلك الماسات المسروقة من شركة دي بيرس .

وكانت أنيتا قد اختفت في ذلك الوقت ، فانكشف لنا سر المكيدة ،
وادركتنا أنها سرقت العينات وهربت بها ، بعد أن وضعت مكانها جزء من
الماس المسروق .

وتدخل سير إيرديسل في الأمر ، ودفع ثمن الماس المسروق الذي قدر
بحوالي ربع مليون جنيه ، وهكذا سحب دي بيرس شکواه وحفظت الدعوى

ضدنا ، وأعلنت الحرب عندئذ فقطو عننا في الجيش ، ومات صديقي جون أثناء القتال ، إذ كان يلقي بنفسه في مغامرات حقاء كأنما يسعى إلى الانتحار . أما أنا فأصبحت بحري وأواني أحد المواطنين في داره حق شفيف ، ولذلك أعلن الجيش أنني في عداد المفقودين

وسكت هاري هنية ثم استقل يقول :

وأقسم لك يا آن آنني حقدت على هذه المرأة حقداً شديداً .. تلك المرأة التي لوثت أميناً ، وكانت سبباً في مصرع زميلي ، وموت أبيه بعد هذه الفضيحة المدوية ، إذ لم يتحمل الأب المسكين أن تعرف الدنيا أن ابنه لص مغامر .

ولجأت إلى هذه البلاد لأنها موطن الأصلي ، وعشت في هذه الجزيرة الصغيرة المعزولة ، وشتتت قارباً أñقل فيه الناس عبر الشلالات ليشاهدو معالمها .

ثم وقع شيء أهاج في نفسي مكامن الذكريات الراكدة . حدث يوماً وأنا أñقل جماعة من الناس في قاربي ان مددت يدي أساعد رجلاً على الصعب إلى القارب ، فما ان وقعت أنظاره علي حتى أطلق صيحة دهشة وذهول ، وباتت في وجهه أمارات الحوف الشديد ، ولكنني تظاهرت بأنني لم أفطن إلى ما حدث ، وظل الرجل طوال الرحلة يختلس إلى وجهي نظرات مذعورة

فلما خادر قاربي تحريت عنه ، وعلمت انه يدعى كارتون ، وأنه قادم من كبرلي حيث يعمل في صقل الماس في شركة دي بيرس .

وخطر لي انه لا بد كان مشتركاً في تلك السرقة الكبيرة التي وقعت في كبرلي ، والتي الصقت ثمة ارتكانها بي وبصديقي جون إيرديسل .

ولم أتردد لحظة واحدة ، فسافرت إلى كبرلي لأجمع مزيداً من المعلومات ، ورأيت ان خير وسيلة لذلك هي ان أواجه الرجل مباشرة وأصوب إليه مسدسي وأنزع منه المعلومات التي أبغضها .

وذهبت إليه ليلاً في بيته ، وشهدت مسدسي في وجهه ، وطلبت منه ان يتكلم .

واعترف لي ان أنيتا جروونبرج زوجته ، وأنها دبر السرقة معاً ، ولكن « الكولونييل » هو الذي وضع الخطة بحيث يتخد مني ومن صديقي جون « كبش الفداء » فيوجه الاتهام اليانا لحن الاثنين دون انت ينطرق الشك إلى المتأمرين الذين سرقوا فعلاً ماسات دي بيرس .

وسأله عن اسم « الكولونييل » فأكدر لي انه لا يعرفه ، وطلبت منه أن يصفه لي فأقسم انه لم يره في حياته . وعدت اهده بمسمى ، وأندرته بأني ساطق عليه النار ، لأن المصير الذي ينتظري لا يخيفني ما دمت أعيش في عزلة عن الناس **مجللاً بالعار**

وبدأ كارتون يدلي إلى ما كان يخفي من معلومات .

قال ان زوجته أنيتا لم تكن تشق بالكولونييل ، وكانت تعرف انه شخص غادر ببطش بأعوانه بعد ان يستقلهم ، وبعد ان يصبحوا عديمي الجدوى لا ينفعونه بشيء . ولذلك آثرت أن تحتفظ لديها بشيء تهدده به حين ترى منه بوادر القدر والخيانة ، ولذلك لم تسلمه جميع عينات الماس التي سرقتها منها ، وإنما احتفظت لديها يجزء منها لتكون سلاحاً في يدها تشهره في وجهه إن آنست منه ما يخيفها ، فان هذه الماسات هي التي يمكن ان تذهبن بها على براءتي وبراءة جون ، وإن السارق الحقيقي هو « الكولونييل » .

واستطرد هاري يتم القصة :

وقال لي كارتون أن زوجته أنيتا سافرت بعد السرقة إلى أوروبا ، واحتزرت الرقص ، وتحذلت لنفسها اسم « نادينا » الراقصة الروسية الشهيرة ، وعملت في باريس خلال الحرب ، وانتقلت بالجاسوسية واللصوصية والتزوير تحت إمرة « الكولونييل » وبتوجيهيه . واختتم كارتون حديثه بأن قال أن زوجته كتبت إليه بأنها ستطلب من « الكولونييل » قدرأً كبيراً من المال لتسليم عينات الماس الخاصة بي ، وإلا وشت به إلى دي بيرس ، وعندها سيعرف سر السرقة التي وقعت في شركته ، فيعجز الكولونييل إلى غيابه السجنون .

وعلمت بعد ذلك ان كارتون أخذ إجازة طويلة من عمله، وأنه حجز لنفسه مكاناً على الباخرة « قصر إكيلموردن » المسافرة إلى الجبلين ، فما كان مني إلا أن حجزت لنفسي تذكرة على نفس الباخرة ، بعد أن تذكرت في صورة رجل كهل ذي لحية سرى فيها الشيب .

وفي لندن تعقبت كارتون دون ان يشعر بي ، ورأيته يدخل إلى مكتب أحد سهاسرة العقارات ، ويطلب تصريحاً بمشاهدة بيت في مارلو معروض للإيجار ، فقد دخلت إلى المكتب في أعقابه وسمعت شطراً من حديثه ، وحدوت حذوه وبدأت أستعلم عن البيوت المعروضة للإيجار . وفيها أنا أفعل ذلك إذا بزوجته نادينا تدخل المكتب لتستعلم بدورها عن المنازل الخالية ، ولكنها لم تعرفني بسبب تذكرني . وسمعتها تطلب تصريحاً بزيارة بيت سير أوستاس بيدلر في مارلو المعروف باسم « فيلا الظاحونة » ، أي نفس البيت الذي طلب زوجها ان يشاهده . وأدركت على الفور أنها سبقتني هناك ، وات المقابلة بينما هما متجربي بهذه الطريقة حق يبدو وكان الأمر جاء صدفة فلا يثيران شكوك الكولونيـل وأعوانه .

وساءلت نفسي لماذا اختارا بيت سير أوستاس بالذات دون سائر البيوت؟
لقد كنت أعلم انه كان موجوداً في جنوب افريقيا عند وقوع حادث السرقة ، ولذلك خطر لي ان من المحتمل جداً ان يكون سير أوستاس هو ذلك «الكولونيـل»
الغامض الخفي

وخرجت مسرعاً من مكتب السهاسرة وتعقبت كارتون حق رأيته ينزل إلى نفق القطارات الكهربائية ، فدخلت وراءه ولكنـه ما كاد يراني حق بوغت مباغته ، فقد كان يعتقد انـي في جنوب افريقيا ، فإذا بي منتصب أمامـه في قلب لندن !.

وحـدثـتـ عـنـدـئـذـ ماـ تـعـرـفـيـنـهـ اـنـتـ يـاـ آـنـ ،ـ فـقـدـ اـخـتـلـ تـوارـنـهـ لـمـوـلـ المـفـاجـأـةـ ،ـ وـسـقـطـ فـوـقـ القـضـيـانـ الـكـهـرـبـائـيـةـ فـصـعـقـتـهـ وـماتـ لـسـاعـتـهـ .ـ وـلـمـ نـقـلـوـهـ إـلـىـ الرـصـيفـ

تقدمت أفعصه مدعياً ابني طبيب ، إذ كنت أعتقد ان الماسات التي تخصني في جنبي ، ولكنني لم أجده إلا لفافة وقصاصة من الورق دون عليها موعد في اليوم الثاني والعشرين من شهر يناير في الباحثة « قصر كيلوردن » . وعند مغادرتي المخطة وقعت الورقة من يدي والتقطتها انت ، فكانت هذه القصاصة هي بداية مغامرتك كما ذكرت لي

واستطرد هاري يقول :

وتبعنا نادينا إلى الفندق ورأيتها تتقدى ، ثم تعقبتها إلى فيلا الطاحونة في مارلو ، وزعمت حراسة البيت ابني صديق لها جئت معها ولكنني تختلف عنها في مكتب البريد بضم دفائق لأبعث ببرقية .

على ابني ما كدت أدخل إلى الفيلا حتى رأيت نادينا امامي مسجاة على الأرض جثة هامدة .

وأسرعت بالفرار ، ولكن أوصافى عرفت ، وجد رجال الشرطة في البحث عنى ، وهكذا نجح « الكولونيل » مرة أخرى في ان يلصق بي تهمة أنها بريء منها .

وبقيت بضعة أيام مختلفاً متوارياً عن الأنظار ، واتفق في خلال ذلك أن سمعت طرفاً من حديث يدور بين أحد رجال وزارة الخارجية وسير أوستاس بيدلر وعرفت من هذا الحديث انه مسافر إلى جنوب أفريقيا ، فذهبت إلى منزله ، وزعمت عنده ابني موعد إليه من وزارة الخارجية لأصحابه في رحلته بصفتي سكرتيراً له ، فجاءت عليه خدعي وصحبني معه ، وبذلك تسنى لي أن أغادر الجلبرا آمناً مطمئناً مستظلاً بحماته ، دون ان يخطر ببال أحد ابني « الرجل ذو السترة الرمادية » الذي يجيد جميع رجال الشرطة في أفراده .

وقاطعته بقولي : هل عرفت يا ترى ان جاي باجيت كان موجوداً في مارلو يوم وقوع الجريمة ؟

فأجاب هاري : كلا .. فقد كنت أعلم انه في « كان » بصحبة مولاه

سير أوستاس .

— لقد كان المفروض انه في «فلورنسا» في مهمة ما ، ولكنني متأكدة انه كان في مارلو .

وقال هاري : الأمر واضح إذا .. لقد اختاروا فيلا الطاحونة مكاناً لل مقابلة ، لأن براجيت يستطيع ان يتردد عليها في أي وقت دون ان يشير وجوده الشبهات .

واردف هاري وفي صوته نبرة من اليأس :

— وهكذا آلت جهودي كلها إلى الفشل .. لقد كنت اسعى إلى الاستيلاء على ماساتي التي سرقت مني ، ولكن الوحيدين اللذين يعرفان مكانها قضيَا نحبهما ، فكارتون صعقته القصبان المكهربة ، ونادينا خنقت في فيلا الطاحونة .

الفصل الخامس والعشرون

حين فرغ هاري من قصته قلت له :

— والآن أظن انه يحسن بك ان تصنفي إلى روائي . ورويت له جميع الاحداث التي سبق أن عرفها القارئ حق الان .

وكان الذي أدهشه أن يعرف ان الماسات التي كان يلمث ورائها كانت في حوزتي ، أو بعبارة أدق في حوزة سوزان .

وبدا عند هذا ان من المين تبرئة هاري من التهمة ، الخاصة بسرقة الماس ، ولكن الشيء الذي بدا مستحيلا هو تبرئته من تهمة قتل الراقصة نادينا .

ومن جديد عاد السؤال يتردد بيننا : من هو « الكولونيل » ؟ أيمكن أن يكون جاي باجيت ؟ .

وقال هاري : كان يمكن ان أقطع بأن باجيت هو الكولونيل ولا شيء واحد .. أن الذي يبدو مؤكداً حق الان هو ان باجيت هو الذي قتل نادينا في فيلا الطاحونة ، فان انذارها بالوشية بالزعيم مشكلة لا يمكن أن يجعلها إلا الزعيم نفسه ، فلا بد إذن ان يكون هو الذي تواعد معها على اللقاء في الفيلا ، ليناقش الأمر معها بنفسه ، وعندئذ قتلها .

ولكن الشيء الذي يضعف من هذا الفرض هو محاولة اغتيالك في أول ليلة وصلت فيها إلى هذه البلاد .. انك رأيت بنفسك باجيت يتخلّف في كيب تارن في وقت واحد ..

كما أن من المستحيل أن يبعث خطاباً إلى أحد أعوانه يأمره بقتلك لأن الخطاب لن يصل أيضاً إلا يوم الاربعاء القادم ..

بقيت وسيلة واحدة هي أن يبرق إلى مساعدته ، وواضح أنه لا يمكن أن يضمن البرقية امراً بالقتل . ولهذا فاني استبعد أن يكون بأجبيت هو الكولونيل .

وسادنا الصمت برهة ثم قال هاري :

- إنك ذكرت لي إنك عند مغادرتك الفندق إلى الشلالات كانت ليدي بلير نائمة في غرفتها ، وكان سير أوستاس بيدلر في جناحه يلي بعض الخطابات على سكريبتها مس بيتجر و وهما يتبعان الحديث . فain كان الكولونيل رئيس؟ ..

- إنه لم يكن في غرفته .

- هل يعتقد إننا ، أنت وأنا ، على صلات طيبة .

- هذا ما أظنه .. ولكنني استبعد أن يكون الكولونيل رئيس هو زعيم قلمك المنظمة الإرهابية الملقب « بالكولونيل » ، فإنه من رجال الخبرات .

فضحوك هاري في سخرية وقال :

- وانى لك أن تعرفي هذا على وجه اليقين؟ . لعله هو نفسه الذي بذر بذور هذه الاشاعة ليقطعي بها تحركاته الملتوية وتنقله بين مختلف البلاد ، وكذلك يدرأ عن نفسه الشبهات ان خطر لأحد انه « الكولونيل » .

واستطرد هاري : ولا تنسي انه كان موجوداً في جنوب افريقيا عند وقوع حادث سرقة الماسات .

فتتساءلت : إذن فما هو موقف بأجبيت؟ .. فهو من أعوان الكولونيل؟ ..

- محتمل .. وغير محتمل .. هل حدثك بأجبيت بنفسه عن عينه المتورمة وعن تلك الليلة التي حاول فيها أحدهم أن يلقي بك إلى البحر من فوق سياج الساخنة قصر كيلمودن؟ ..

- كلا . لقد كان سير اوستاس بيدلر هو الذي روی لي هذه القصة . لقد قال لي ان باجيت رأى شبح شخص في منتصف الليل يأتي من ناحية مقصورة سير اوستاس ، فتهقبه الى سطح الباحرة ، فما كان من الشبح إلا ان لكه وطراوه أرضاً ، وباجيت يعتقد ان من هاجمه هو الكولونيل ريس .

فقال هاري :

- والذي يمكن أن يستخلصه من هذه الرواية ، هو ان الكولونيل ريس هو الذي حاول أن يلقي بك إلى البحر ، فلما فشل دار حول سطح الباحرة ، والتى بياجيت فصرعه أرضاً ، ثم جاء اليك يزعم ان باجيت هو الذي حاول ان يقتلك .

وقلت مهترضة :

- ولكن باجيت يؤكد انه أنت الذي اعتديت عليه ، وليس الكولونيل ريس .

- تعميل هذا الادعاء بسيط . لنفرض انه عندما أفاق من إغمائه لم يُسر في أقصى المشى ، فمن الطبيعي أن يقع في روعه انه أنا الذي اعتديت عليه .

وقلت : هذا محتمل .. ولكن ، هناك أشياء أخرى ، تحتاج إلى تفسير .

- لعلك تمنين ان الشخص الذي كان يتعقبك في كيب قاوت خرج فجأة من مشرب الشاي ، ووقف يتحادث الى باجيت ، وان باجيت تطلع في ساعته قبل ان يتبع طريقه . إنك اعتدلت عندها ان مطاردك تلقى امراً من باجيت بأن يستدعي الشرطي ، ويتمك بذليل حافظة نقوده . فلم لا يكون هذا اللقاء متعمداً لإلقاء الشبهات على باجيت ، وأن مطاردك لم يتلق منه أية تعلميات ، وان كل ما فعله هو انه سأل باجيت عن الوقت

ولذلك تطلع في ساعته .

- إذًا فأنت تعتقد أن بagiit بريء ، وان هناك من يحاول ان يدفعه بالشبهات ..

- لا أستطيع ان أدلي بحوار قاطع ، إلا إذا عرفت أولاً ما الذي كان يفعله في مارلو يوم مصرع الراقصة نادينا ، فان قدم تفسيراً معقولاً فهو بريء من قتلها .

ونهض هاري واقفاً وهو يقول :

- والآن إذهبني إلى فراشك يا آن ، وغداً تستيقظين مبكرأً لتشعرعي في رحلة العودة إلى إنجلترا .

ولم يكن في ذيقي أبداً ان أهرب من الميدان ، ولكنني لم أشاً ان أتفشأه الأمر إذا ذاك .

وأيقظني في الصباح قبل ان تشرق الشمس وقال :

- هيا استعددي .. سندع القارب البخاري حتى لا يتبه دوي حركة الناس ، وإنما سندسق القارب الصغير فإنه ..

ولكنه أمسك لا يتم عبارته وهمس :

- أنصقي .. ما هذا ؟

وأرهقنا السمع مما .. كان هناك صوت مجازيف تضرب الماء .
وخرجنا إلى باب الكوخ وحدقنا في الظلام ، ولعنة قارباً يدنو من الشاطئ ،
فسحبوني من ذراعي وهو يقول :

-- فلتمعد إلى الكوخ .. ييدو ان « أصحابنا » اكتشفوا مخبأك .

وأوصد بباب الكوخ ونافذته ، وانتزع مسدساً وبندقتين من فوق الجدار ،
وجاء بصناديق مليء بالرصاص ، وأراني كيف أحشو البندقية ، ووقف متربصاً
عند النافذة يرقب ما سوف يحدث .
وسمعننا خشخشة الأعشاب وأوراق الشجر ووقع أقدامه تقترب .

ورأيت المولندي الملتحي على رأس جماعة من الرجبيالـــ ذلك المولندي الذي انتحل صفة أمين المتحف ، ودعاني إلى زيارته ، ثم اعتقلني .

وصاح هاري من وراء النافذة :
ـ من هناك ؟ . من القادر ؟ .

وكان الرد الذي تلقيناه سللاً من الطلقات النارية انصبت على نافذة الكوخ وجدرانه .

وصوب هاري بندقيته ، وأحكم المهدف ، ثم أطلق النار ، وطافت الرصاصة الأولى ، ولكننا معننا صرخة داوية عقب الرصاصة الثانية . وتوالى تبادل الطلقات ، وكلما فرغت بندقيته ناولته البندقية الثانية بعده ان أحشوها . وسمعننا صرخة ثانية ، ثم كف أعداؤنا عن إطلاق النار .

واختلس هاري نظرة من النافذة وقال :
ـ إنهم ينسحبون . ولكنني أعرف انهم سيعودون ، وفي هذه المرة سيعودون في جمع كبير يحاصر الكوخ من جميع الجهات ، فعلينا أن نبادر بالمركب قبل أن يعودوا .

وأخذ هاري من أحد الأركان صفيةحة ملائى بالبرول ، وصباها في أنحاء الكوخ فوق سطحه .

وما كدنا نبتعد خطوات حتى رأينا جمعاً كبيراً يقترب من الكوخ ، وهم يطلقون النار ، وفي نفس اللحظة اندلعت النيران في الكوخ بسبب الطلقات النارية التي أشعلت البرول ، وأخذنا نجري بكل قوتنا هاربين .

ولمحت وانا التفت الى الوراء شبح شخصين فوق سطح الكوخ وقد أمسكت النار بشياهما .

وأمسكت بذراع هاري قائلة له في ذعر :
ـ انظر اـــ فوق سطح الكوخ شخصان يجترقان .

فضحلك قائلًا : لا عليك من هذا .. إطمئني .. إنها مجرد ثياب حشوتها بالوسائل والطرق البالية وجعلتها على شكل إنسان حتى يعتقد أعداؤنا أننا احترقنا مع الكوكون فيكروا عن مطاردتنا .

* * *

كانت الرحلة شاقة مرهقة ، ونحن نضرب في الأحراش والمستنقعات ، ونخوض في الطين والأوحال ، وإذا ما أدر كفي التعب جلني هاري على كتفه كأنني طفلة صغيرة ، حق انتهينا إلى صديقه نيدفي ليفنجستون ، وقد طلع نور الصباح وغمر الأرض بضيائه .

وقدم علينا نيد طعاماً شمياً وأقداح القهوة الساخنة ، ثم أوفده هاري يستفسر عن جماعة سير أوستاس بيدلر ، وهل ما زالوا في الفندق أم رحلوا عنه ، ومحذرة من أن يشير إلى اسمه بكلمة واحدة .

وعندئذ صارت هاري بما في نفسها ، وإنني لا ألوى أن أعود إلى الجبل ، وبعد نقاش وجلاج وافق على أن أبقى مختبئة في بيت صديقه فترة وجيزة بعد رحيله ، ثم الحق بصدقه سوزان حيثما تكون ، وأبقى في صحبتها في انتظار تعلیماته ، وأن نبادر بإيداع الماس في إحدى خزائن البنك .

وقال لي : والآن فلتتفق على شيفرة سرية نوقع بها رسائلنا حق لا يدس علينا أحد خطاباً مزوراً ويستدرجنا إلى كمين .

فأي خطاب أكتب إليه أو تكتبيه إلي يحب أن يتضمن حرف « واو » مشطوباً . أي علينا أن نكتب حرف « الواو » في اي موضع من الخطاب ثم نشطبه وهذا معناه ان الخطاب سليم غير مدسوس علينا ، وانه صادر منك أو مني

أما البرقيات فنوقعها باسم « آندي » .
فقلت : فإذا جاءتنى أو جاءتك برقية غير مذيلة بهذا التوقيع ،
كانت مزورة .

وعندما آذن موعد القطار بالرحيل ضمني هارى الى صدره وطبع على
شفتي قبلة وحشية وقال :
ـ إعلمى إنك إن تزوجت غيري يا آن فلن أتردد في أن أقتله . وسيكون
اتهامي بالقتل في هذه المرة صحيحًا غير ملتف .

الفصل السادس والعشرون

(فقلاء عن مذكرات سير أوستاس بيدلر)

لأنني رجل محظوظ للسلام والمدحور ، ومع ذلك فقد كنت أجده نفسي على
كره مني في غبار المشاكل والاضطرابات . فأولاً لدى سكريتيرى باجيت الذى
تدل تصريحاته على الفموض وتنثير الشكوك .
وفي أول ليلة وصلنا فيها إلى مدينة الشلالات فوجئت بعد منتصف الليل
بالميدى بلير تقترب غرفتي وهي تصرخ في وجهي :
— أين آن بيديغفيفيلد ؟

وأكدت لها أنني لم التهمها بعد العشاء ، وإن ثنيت أن أفعل ذلك ، فإنها
في الواقع ليست مخلوقاً بشرياً وإنما قطعة لذبحة من الحلوى . ثم أردفت :
— المفترض أنها الآن راقدة في فراشها .

فقالت : هذا هو المفترض ، ولكنها ليست في مخدعها ، وفراشها
لم يمس .

— هل سألت عنها الكولونيل رئيس ؟ .
— إنه هو الآخر غير موجود في غرفته .
— إذاً فالامر واضح . لقد خرجا يتمشيان معًا .. ألم تلاحظي أنه

يميل إليها؟ ..

ولكن الكولونييل ريس دخل علينا في هذه اللحظة ، وأكده لنا أنه لم ير آن بيدينجفيلد منذ ساعة المشاه ..

وأثرنا ضجة في الفندق ، ومضينا نستفسر عن الفتاة ومحركاتها ، وعرفنا من الخدم أنها غادرت الفندق وحدها عند منتصف الليل وهي مرتدية ثيابها كاملة ، وأخذت طريق الشلالات . وعلى ضوء المشاعل خرجنا نبحث عنها ، ولكننا لم نهتد إلى شيء ، فارجأنا البحث إلى الصباح .

واهتمينا فعلاً إلى أمر حذامها بالقرب من الفندق ، فقد استعننا بنفر من قصاصي الأفر . واستطاعوا أن يتبعوا خطواتها إلى نهاية الجسر المفهي إلى الشلالات ، ثم انطممت معالم حذامها وسط عشرات من آثار الأحذية ، إذ زار المنطقة في الصباح الباكر بعض السائرين ، فاختلطت الآثار بعضها ببعض .

وقلت : ليس هناك إلا تفسير واحد .. إنها فتاة خيمالية تعيش في الأحلام ، ولعلها أرادت أن تشاهد الشلالات في الليل ، فاختلطت الطريقة لشدة الظلام وسقطت في المهاوية ، وجرفها تيار الشلالات .

كانت ملاحظة بريئة ومنطقية ، ولكن شفيق ما كادتا تتفرجان عنها ، حق أخذت ليدي بلير قوال وتنوح ، في حين اكتفر وجه الكولونييل ريس بعلاء الوجوم .

وبالآمس سرت إشاعة بأن هناك جزيرة منعزلة وسط النهر على مسافة قريبة من المدينة ، وإن في هذه الجزيرة رجلاً وفتاة يعيشان معاً . وقيل أن الرجل كان يعيش في هذه الجزيرة منذ أعوام ، وإن لديه قاربًا يؤجره للسائرين ليطوف بهم صفاف النهر . أما الفتاة فلم يسمع أحد بوجودها إلا في الأيام الأخيرة فهل تكون هذه الفتاة يا ترى هي آن بيدينجفيلد ، وإنها وقعت في غرام هذا الرجل فذهببت لتعيش معه .. إذا كان الأمر كذلك فلا شك

أن رئيس سينيذل قصارى جهده للتحرى والاستفسار ، وثار الغيرة قتائج
في صدره .

وأخيراً قررت أن أسافر إلى جوهانسبرج ، وكان رئيس لا يفتأ يخشى على ذلك . وبلاغنى ان الحال سيئة هناك ، وان الانضرارات قد بدأت ، فلما قناعت هذه الأنباء الى ليدى بلير عدلت عن السفر وقررت ان تبقى في مدينة الشلالات ، وجاءت برجوفي ان أحمل معي تذكارتها ؛ ولكننى عرددت فاتحة هنا أخيراً ان آخذ معي صندوقين صغيرين . أما الدمى الخشبية التي اشتراها من مختلف المطاعات فتشحن في صناديق كبيرة ترسّل إلى كيب تاون بطريق السكة الحديد حيث يتولى باجيت لإيداعها في أحد الخازن ريثما تحين ساعة المودة الى الجلالة .

وهكذا سافرت إلى جوهانسبرج تصاحبني سكرتيرتي مس بيتجر و بوجيم
الدمى الذي لا يطاق .

الفصل السابع والعشرون

حل اليوم السادس من شهر مارس وترامت في الجو نذر الثورة، وبدأت جوهانسبرج تغلي فوق بركان، وأقسم العمال أن يضرموا عن العمل، وانهم لن يعودوا إلى مصانعهم إلا إذا خضع أرباب العمل لشروطهم. وكانت المدينة على حال سيئة من الفوضى، فدوبي الرصاص يسمع، والطعام شحيح في الفنادق.

وفي الصباح زارني أحد مديرى الشرطة، وأخذ يمدحني عن مكانى الاجتماعية، وان الحكومة سريصة على سلامي، ولذلك فهو يطالبني بالسفر فوراً إلى بريتوريا حتى أكون بمنحة من المظاهرات ومن الطلقات النارية التي تطير في الهواء وأوضحت له في عناد انى لن اسافر إلى بريتوريا، وانى جئت إلى هذه البلاد لأدرس أحوالها الاقتصادية وأجري تحقيقاً في أسباب الاضراب.

وطال بنا النقاش، ولم يكن في وسعه أن يغمي على السفر إلى بريتوريا، فاضطر أخيراً إلى الرضوخ لرأيه، وسلمي تصريحـاً يخول لي الحق في دخول المدينة.

وما كاد مدير الشرطة ينصرف حتى جاءتني برقية من كباري مذيلة باسم ليدي بلير، هذا نصها:

«آن بيدينجفيلد بخير ... إنها معنـى الآن في كـمبرـلي ،
وأدهشتني هذه البرقـية إذ كنت أعتقد أن هذه الفتـاة وقـعت في الشـلالـات
وـجرفتـها المـياه .

الـحق إنـها فـتـاة عـجـيـبة ! كـم من مـرـة استـهـدـفت لـلـخـطـر وـلـلـمـوت ، ثـم إـذـا يـهـا
تـبـعـثـتـ منـ جـدـيدـ ، كـأنـا لمـ يـصـبـهـا شـيءـ .

وـتناولـتـ قـبـيـقـي وـخرـجـتـ أـطـوـفـ بالـمـديـنـةـ لـأشـتـريـ بـعـضـ التـذـكـارـاتـ .
وـفـيـاـ أـنـاـ وـاقـفـ أـمـامـ أحـدـ مـتـاجـرـ التـحـفـ أـدـيرـ عـيـفـ فـيـاـ هوـ مـعـروـضـ فـيـ وـاجـهـتـهـ ،
إـذـاـ بـرـجـلـ يـخـرـجـ فـجـأـةـ مـنـ الـمـتـجـرـ وـيـكـادـ يـصـطـلـمـ بـيـ .ـ وـلـشـدـةـ دـهـشـتـيـ كـانـ هـذـاـ
الـرـجـلـ هوـ الـكـولـونـيـلـ رـيسـ .

وـقلـتـ لـهـ : لـمـ تـكـنـ لـدـيـ أـيـةـ فـكـرـةـ عنـ وـجـودـكـ فـيـ جـوهـانـسـبرـجـ ...ـ مـتـىـ
وصلـتـ إـلـىـ هـذـهـ المـدـيـنـةـ ؟

فـأـجـابـ فـيـ اـقـضـابـ وـخـشـونـةـ : مـسـاءـ اـمـسـ .

ـ وـأـينـ تـقـيمـ ؟

وـبـنـفـسـ الـأـمـيـةـ الـجـافـةـ الـمـتـضـبـةـ أـجـابـ :

ـ مـعـ بـعـضـ الـأـصـدـقـاءـ

وـيـدـاـ عـلـيـهـ فـيـ وـضـوـحـ اـنـهـ ضـاقـ باـسـئـلـقـ .

وـقلـتـ لـهـ : أـرـجـوـ أـنـ تـكـوـنـ لـدـيـهـمـ مـزـرـعـةـ لـلـدـجـاجـ فـقـدـ بـلـغـيـ اـنـ الـطـعـامـ
شـعـيـحـ فـيـ هـذـهـ المـدـيـنـةـ .

وـتـشـيـنـاـ مـعـاـ ، فـلـماـ بـلـغـنـاـ فـنـدقـ قـلـتـ لـهـ :

ـ عـلـىـ فـكـرـةـ .ـ هـلـ بـلـفـكـ يـاـ تـرىـ أـنـ مـسـ آـنـ بـيـدـنـجـفـيـلـدـ عـلـىـ قـيـدـ الـمـيـاهـ .

فـأـوـمـاـ بـرـأسـهـ اـيـحـابـ دـوـنـ أـنـ يـتـكـلمـ ، فـقـلـتـ مـسـطـرـدـاـ :

ـ لـقـدـ أـثـارـتـ هـذـهـ الـفـتـاةـ رـعـبـنـاـ ،ـ وـلـكـنـ أـيـنـ كـانـتـ بـحـقـ الشـيـطـانـ ؟ـ

هـذـاـمـاـ أـوـدـ أـنـ أـعـرـفـهـ

فـأـجـابـنـيـ رـيسـ :ـ كـانـتـ تـعـيـشـ فـيـ إـحـدىـ الـجـزـرـ فـيـ نـهـرـ الزـمـيزـيـ .

— أعلم ذلك الصديق الذي قالت انه كان ينتظركا في ديربان؟ .
— كلا ... انه شخص آخر ... انه ذلك الرجل الذي تمنى جميعاً أن
نقبض عليه .
فهتفت : أتعنى ... أريد ان تقول انه ..

فقالتني بقوله : نعم . هاري رايبرون بعينه ، او هاري لوکاس ، فهذا
هو اسمه الحقيقي ... لقد استطاع ان يفلت مرة بعد مرة ، ولكن الحلقة الان
تضيق حوله ، ولن يلبث أن يقع في قبضة الشرطة .

فتساءلت : والفتاة؟ . آن بيذنجفيلد؟ . أهي شريكة له؟ .
فأجاب : - كلا ... كل ما هناك أن ما بينها لا يعلو أن يكون
علاقة غرامية .

ثم اردف يقول : لقد سافرت إلى بييرا .
فحملقت في وجهه دهشة وقلت :
— حقاً .. وكيف عرفت؟ .

فأجاب : - لقد بعثت إلي بخطاب من بولاويو ذكرت فيه أنها راجمة
إلى إنجلترا ..

— أما أنا فاعلم عن يقين أنها ليست في بييرا .

فقال الكولونيال رئيس في اصرار :
— عندما كتبت إلي كانت على وشك السفر إلى بييرا .

وبدا الأمر عجيباً ... أما ان تكون ليدى بلير كاذبة ، وأما ان تكون
آن بيذنجفيلد هي الساذبة .

وقلت له وانا اطلعه على البرقية التي جاءتك من ليدى بلير .
— إذًا ما هو رأيك في هذه البرقية؟ .

والتي نظرة سريعة على البرقية : ثم غضم :
— أنها في كمبرلي؟ ... هذا عجيب ... ما الذي تفعلانه هناك

في كمبولى ..؟

ثم استاذن في الانصراف متعملاً ، وعلى وجهه سمات التفكير والشروع .

* * *

ما كان الكولونيل رئيس ينصرف حق جاء مدير الشرطة مرة اخرى لزيارة .
قال : يلوسفني يا سير اوستاس ان ازعيك مرة أخرى ، ولكنني جئت
لأمر يتعلق بسكرتيرتك .

فقلت ضاحكاً : ما شأنها ؟ هل اهانها أحدهم فوصفتها بالجمال ؟

ـ لقد شوهدت تقادر متجر التحف الذي يملكه اجراساتو .

ـ وأي شيء في هذا ؟ لقد همت انا نفسي بدخول هذا المتجر اليوم ،
فهل كنت تدوي ان تقبض علي ان رأيتها خارجاً منه .

ـ لقد شوهدت سكرتيرتك تتردد على هذا المتجر أكثر من مرة ، وتفسب
في داخله طويلاً .

ـ ثم أردف هاماً : ان لدينا يا سير اوستاس معلومات سرية مؤكدة بأن
هذا المتجر هو مقر المنظمة السرية التي تدعو إلى الثورة واستطلاع الحكومة ،
ولعل سكرتيرتك عضو في هذه الجماعة ، فكيف التحقت بالعمل لديك ؟

ـ فأجبته في برود : ان حكومتك هي التي رشحتها للعمل لديك .

ـ وحين سمع جوابي كاد يسقط مفجعاً عليه .

الفصل الثامن والعشرون

(آن بيدنجفيلد تكمل سرد قصتها)

ما أَنْ حَمَلْتِ بِكَبْرِيِّ حَتَّىْ أَبْرَقْتِ إِلَىْ سُوزَانْ بُوْصُولِيْ، فَهَرَعَتِ إِلَيْيَّ مِنْ فُورِهَا دُونَ أَنْ تَقْرِيبَتِ سَاعَةً وَاحِدَةً، وَمَا أَنْ رَأَتِيْ حَتَّىْ تَرَأَتْ عَلَىْ صَدْرِيْ، وَرَاحَتْ تَفَمَّرْنِيْ بِالْقَبَلَاتِ، وَعَبَرَاتِهَا تَنْهَمَرْتُ عَلَىْ وَجْنَتِهَا .
وَلَمَّا قَالَكُنَا بِجَائِشْنَا، طَلَبَتِيْ إِلَيْيَّ أَسْرَدَ عَلَيْهَا تَفَاصِيلَ الْأَحْدَادِ الَّتِيْ مَرَتْ بِيْ .

وَلَمَّا فَرَغَتِ مِنْ قَصْقِيْ قَالَتْ لِيْ :

... إِذَاْ فَقَدْ وَقَمْتِ فِي حُبِّ هَذَا الرَّجُلِ الْبَدَافِيِّ الْمُتَوَحِشِ الَّذِيْ يَعْقُلُ النَّاسَ فِي جَزِيرَةِ نَائِيْ؟ لَقَدْ كَنْتِ مُمْجَبَّةً بِالْكَوْلُونِيِّلِ رِيسَ وَأَعْرَفُ أَنَّهُ يَمِيلُ إِلَيْكِ، وَلَكُمْ تَمْنِيْتِ أَنْ تَتَخَذِّيْهُ زَوْجًا لَكَ .

وَسَادَ الصَّمْتُ بَيْنَنَا بِرَهْةً، ثُمَّ قَالَتْ سُوزَانْ :

... اسْعَمِي يَا آنَ .. عِنْدَمَا بَدَأْتِ أَشْكُ فِي الْكَوْلُونِيِّلِ رِيسَ وَانْ مِنْ الْمُتَحَمِّلِ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْكَوْلُونِيِّلِ، الْفَامِضُ افْلَقَنِيْ أَمْرَ الْمَاسَاتِ، وَخَشِيَتْ أَنْ يَفْطُنَ بِطَرِيقَةٍ مَا إِلَىْ أَنَّهَا مُوجَودَةٌ مَعِيْ فَيُسْلِبَهَا مِنِّي . وَقَدْ حَرَتْ فِي الْأَمْرِ وَلَمْ أَدْرِ أَينَ أَخْفِيَهَا، ثُمَّ خَطَرَتْ لِيْ فَكْرَةً .

ثُمَّ مَالَتْ فَوْقَ اذْنِيْ وَهَمَسَتْ تَحْمِلَتِيْ عَمَّا فَعَلَتْهُ بِالْمَاسَاتِ وَأَينَ أَخْفَتَهَا، فَقَلَّتْ مُؤْمِنَةً :

— لقد أحسنت صنعاً .. ولكن ما الذي فعله سير اوستاس بيدلر بالصنايديق؟ .

فقالت سوزان : كلا .. لقد أمر بالصنايديق الكبيرة ان تشحن إلى كيب تاون ، وقد أخبرني باجييت قبل ان أغادر مدينة الشلالات أن الصنايديق اودعه أحد المستودعات العامة ، كما علمت منه انه سيسافر إلى جوهانسبرج لكي يلحق بسير اوستاس .

— والصنايديق الصغير؟ . أين هي؟

— أعتقد أنها مع سير اوستاس وأنه خلّها إلى متاعه .

وعدلتأسأها : إذن فباجييت سيسافر اليوم إلى جوهانسبرج؟ .

— هذا هو ما أخبرني به .

— حسناً .. لا بد لي من مقابلته على رصيف المحطة عند مرور قطاره بها.

— وما الذي تبغين منه؟

— أريد أن أوجه إليه سؤالاً .

— يا إلهي ! لا بد أنه سؤال خطير؟

— بيل هو أخطر سؤال مر بذهني .

وعلمت من مكتب الاستعلامات ان القطار سيمز بمدينة كمبلي في الساعة الخامسة من بعد ظهر اليوم التالي ، فيتوقف في محطتها عشر دقائق ثم يتتابع مسيرته إلى جوهانسبرج .

ورقص قلبي طرباً حين تلقيت ، في نفس اليوم ، برقية من هاري يقول فيها :

« وصلت سالماً .. كل شيء يسير على ما يرام .. ايريك هنا وكذلك اوستاس ، أما جاي فلا .. أبقى مع سوزان في الوقت الحاضر - آندي » .

وآندي هو الترقيع الشفري الذي اتفقنا - ان نوقع به - برقينا - حق نتأكد أنها صحيحة غير مدسوسه علينا . أما « ايريك » فالاسم الرمزي الذي اتفقنا

على استعماله بدلاً من اسم الكولونيال ريس .

و قضيت ساعات الفراغ كلها أتباها الحديث مع سوزان ، إذ لم يكن لدى ما أفعله .

وبعد ظهر اليوم التالي وقد فرغنا من تناول الغداء سألني سوزان :

ـ أتخيلين أن أصحبك عند ذهابك لقابلة باجيت؟

ـ كلا .. إني أؤفر أن القاء وحدني فقد يتخرج من ان يفضي إلى بما في نفسه أمام شهود .

وقبيل موعد وصولقطار بدقائق كنت واقفة على رصيف المحطة أتلتف إلى اللقاء المرتقب ، والسؤال الذي سأوجهه إلى باجيت ، وهل يحيي عليه او يرفض الإجابة ، وما عسى يكون جوابه؟

و جاء القطار يتمادى على مهل ، ونزل باجيت من المركبة ليتمشى قليلاً على الرصيف ، والقاني منتصبة أمامه وجهها لوجهه .

وحلق في دهشة و هتف في ذهول :

ـ مس بيدنجفورد؟ ، ألم فهمت انك اختفيت؟.

فقلت في رزانة و هدوء :

ـ وما أنا قد دعك إلى الظهور مرة أخرى . ولكن كيف حالك يا مسٹر باجيت .

ـ بخير .. شكرآ لك .. هل تنوين العودة إلى خدمة سير اوستاس بيدلر؟ ..

ـ كلا .. لقد جئت إلى المحطة خصيصاً ل مقابلتك أنت .. إني أريد ان أوجه إليك سؤالاً .. هو سؤال بسيط ، ولكن تتوقف على الإجابة عليه نتائج خطيرة . إني أريد أن أسرف ما الذي كنت تفعله في مارلو في اليوم الثامن من شهر ينمير - أي يوم مصرع تلك المرأة الأجنبية في فيلا الطاصونة؟ ..

وأجفل باجيـت وارتـعدت اوـصاله .

ـ أهـذا هـر السـوال يا مـس بـيدـنـجـفـيلـد ؟ الـواقع انـفي ..

فـقـاطـعـتهـ سـقـ لاـ يـفـرقـنيـ بـسـيـلـ منـ الأـكـاذـيبـ :

ـ إـنـكـ كـنـتـ هـنـاكـ .. فـيـ مـارـلوـ .. الـيـسـ كـذـالـكـ ؟

فـأـجـابـ : نـعـمـ .. كـنـتـ هـنـاكـ .. لـأـسـبـابـ شـخـصـيـةـ بـحـثـةـ تـتـمـلـقـ

بـيـ وـحـديـ

ـ أـلـاـ يـكـنـ انـ تـصـارـحـنـيـ بـهـنـهـ الـأـسـبـابـ ؟

ـ أـلـمـ يـذـكـرـ لـكـ سـيرـ اوـسـتـاسـ هـذـهـ الـأـسـبـابـ ؟

فـقـلـتـ فـيـ دـهـشـةـ :

ـ السـيرـ اوـسـتـاسـ ؟ أـفـرـاهـ يـعـرـفـهـاـ ؟

ـ طـبـعـاـ .. بـكـلـ تـأـكـيدـ .. وـإـنـ تـنـتـيـتـ انـ لـاـ يـكـونـ قدـ رـآـنـيـ .. وـلـكـنـيـ
كـنـتـ أـشـعـرـ دـائـماـ أـنـهـ لـهـنـيـ وـعـرـفـيـ ، فـقـدـ كـانـ دـائـماـ يـعـزـزـنـيـ فـيـ أـسـاحـادـيـشـهـ وـيـبـدـيـ
مـنـ الـمـلـاحـظـاتـ الـعـابـرـةـ مـاـ جـعـلـنـيـ مـتـأـكـداـ مـنـ أـنـهـ يـعـرـفـ . وـمـعـ ذـلـكـ فـقـدـ كـنـتـ
أـنـ أـصـارـحـهـ بـكـلـ شـيـءـ ، ثـمـ أـقـدـمـ إـلـيـهـ اـسـتـقـالـيـ .

لـمـ أـكـنـ فـيـ الـوـاقـعـ أـدـرـكـ مـاـ يـتـحـدـثـ عـنـهـ باـجـيـتـ ، وـلـكـنـيـ تـرـكـتـهـ يـسـتـرـسلـ
لـاـ أـقـاطـعـهـ اـمـلـ لـسـانـهـ يـقـلـتـ بـالـرـدـ الـذـيـ أـتـلـهـفـ إـلـيـهـ .

وـمـضـىـ يـقـولـ :

ـ إـنـيـ أـعـرـفـ إـنـيـ كـنـتـ مـخـطـنـاـ ، وـلـكـنـ رـجـلاـ مـنـ طـرـازـ سـيرـ اوـسـتـاسـ لـاـ يـكـنـ
أـنـ يـقـدـرـ مـوـقـعـيـ أـوـ يـصـفـحـ عـنـيـ .

فـقـاطـعـتـهـ فـيـ كـلـمـاتـ سـرـيـعـةـ إـذـ كـنـتـ أـخـشـيـ أـنـ يـتـحـركـ القـطـارـ قـبـلـ أـنـ
أـنـقـزـعـ مـنـهـ مـاـ أـرـيدـ :

ـ وـلـكـنـكـ لـمـ تـذـكـرـ لـيـ بـعـدـ السـبـبـ فـيـ وـجـودـهـ فـيـ مـارـلوـ ، فـيـ ذـلـكـ
الـيـوـمـ ؟

وـقـالـ : عـفـواـ ، يـا مـسـ بـيدـنـجـفـيلـدـ .. لـقـدـ أـوـشـكـ القـطـارـ أـنـ

يتحرك .

وقفز إلى مركبته ، وببدأ القطار يتحرك ، وركضت بجانب النافذة
وأنا أردد :

ـ ما سبب وجودك في مارلو في ذلك اليوم ؟

ـ إنيأشعر بالخجل ..

ـ أرجوك أن تتكلم .. إن الأمر هام جداً .

وتكلم باجحية .. وعرفت السبب .

الفصل التاسع والعشرون

(ثلاثة عن مذكرات سير أوستام بيدلر)

في اليوم السابع من شهر مارس وصل باجيت إلى جوهانسبرج ، وكان مذعوراً لف祸 خوفه من الأحداث الدامية التي تجري في هذه المدينة . وقد اقترح على أن ينادر إلى السفر إلى بريتوريا تفادياً للأخطار ، ولما رددت عليه في حزم بأن ذيقي قد استقرت على البقاء في جوهانسبرج ، وإنني لن أرضحها مهما ساءت الأحوال - رد علي بأنه يتمتع لو كان معه مسدسه الذي يحتفظ به منذ انتهاء الحرب حتى يشهده دفاعاً عنـي .

ولم أجده وسيلة للخلاص من بررقته إلا بأن أطلب منه أن يأتي بحقيقة الآلة السكاتبة ، وأن يشرع على الفور في نسخ مذكراتي بعد أن يذهب بها إلى أحد المكاتب لصلاحها ، فقد تعودت كلما طلبت منه أن يكتب شيئاً ان يرد علي بأن بالآلة السكاتبة خلا .

ولكنه أجابني على الفور :

- لقد أصلحتها وأنا في مدينة الشلالات ، فقد فتحت جميع الحقائب والصناديق ونسقت محتوياتها .
- يا إلهي ! .. إنك دائمًا تأتي تصرفات تنطوي على الحماقة ! .. ألا

تعلم ان الصناديق الصغيرة خاصة بليدي بلير؟ فما شانك حق تبعث
بمحاقائبها؟

فقال معتذراً :

- إني آسف .. آسف جداً .

ورأيت ان أتخلاص منه في فترة الصباح فقلت :

- والآن أخرج وترى من قليلاً وشاهد معالم المدينة فقد تندلع الثورة فجأة،
وبعدها ستبعده المدينة خراباً .

وبحين انتدار يهم بالانصراف ناديه وقلت له :

- وبهذه المناسبة .. ما هي محتويات الصناديق الصغيرة ، الخاصة
بليدي بلير؟

- سجاجيد صغيرة من الفراء .

فقلت مهقباً :

- لقد رأيتها تشتريها كلما توقف القطار في إحدى المحطات . وماذا
أيضاً؟

- لفافات بعض الأفلام وبمجموعة كبيرة من السلال الملونة المختلفة الأشكال
وقفازات قديمة .

- ولكن ألم يخطر لك مجرد ان فتحت اول صندوق ان مثل هذه الأشياء
لا يمكن ان تختصني؟

- لقد ظننت أنها تخص مس بيتجرو .

فقلت : وبمناسبة ذكر مس بيتجرو .. من أين جئتني بهذه السكرينة
المشبوهة؟.

وحديثه بما رواه لي عنها مدير الشرطة ، وكيف أنها شوهدت مراراً
تتردد على محل للتحف يعتقد رجال البوليس انه مقر اجتماعات المنظمة
السرية القائمة بالتحرىض على الثورة . فرد باجحية بأنه لا يعرف عنها شيئاً

أكثر من انه ذهب إلى الغرفة التجارية لبحث عن سكرقيرة مؤقتة ليقدموها اليه .

وبدأ باجتثت بعد ذلك يروي لي شيئاً حدث في الباحثرة قصر كيلوردن بشأن إفادة أحد الأفلام . وكان أثناء الحديث يضطرب وينتعش ويعيد ويكرر ما قاله حتى كدت لا أفهم شيئاً .

وأخيراً ، وبعد جهد وبعد أسللة كثيرة وجهتها اليه ، خرجت بالخلاصة الآتية : وهي ان وصيفاً بالباحثرة قذف بلغة أفلام إلى أحد المقاصير من خلال أنبوية التكييف .

فقلت له :

ـ إنها قصة سخيفة لا تمني في شيء .

ولم أر باجتثت إلا بعد موعد الفداء ، فقد جاءني مهولاً ، وفي وجهه إمارات الانفصال الشديد ، وقال لي انه شاهد رايبرون في المدينة .

وهتفت به :

ـ ماذا تقول ؟ هل انت متتأكد ؟ .

ـ نعم . لقد لحت على بعد شخصاً يشبهه ، ولكنني متتأكد انه هو رايبرون بعينه .

ـ هذا عجيب !

واستطرد باجتثت يقول :

ـ وهل تدرى من الذي كان يتحدث اليه ؟ .. إنها مس بيتجر و

ـ مس بيتجر و .. إنى لا أصدق هذا .

ـ لقد رأيتها بعيني رأسي ، يا سير اوستاس ، يتبدلان الحديث .. وليس هذا فقط ، بل رأيتها يدخلان معهما محل التحف الواقع عند النهاية

ورغمًا عنِي لم أفالك إلا أن شئت ، فتظلع إلى باجيت في استغراب
وأسألي :

ـ ماذا حدث ؟

ـ لا شيء ، لا شيء ،

واستطرد باجيت ،

ـ وقد ازويت في ركن من الشارع أترقب خروجهما من المتجر ، ولكنها
لم يخرجا ، فلم أتردد في دخول محل ، ولكنها لم يكونوا موجودين به ، فلا بد
أن للمتجر باباً آخر لا أعرفه .

وسكت باجيت هنئه فقلت أستحيه :

ـ وماذا أيضاً ؟ ، هناك شيء آخر ؟ .

ـ حين عدت إلى الفندق ، زأيت أن أقوم ببعض التحريرات عن
مس بيتجروا .

ثم خفض صوته ، كا هو شأنه ، كلما أراد أن يفضي بسر من
الأسرار :

ـ نعم .. قمت ببعض التحريرات ، فلعلت أن رجلاً شوهد وهو يغادر
غرفتها ليلاً .

ففهمت :

ـ هذا غير معقول يا باجيت ، فما من رجل يطيق أن ينظر لحظة إلى
وجهها الدميم .

واستطرد باجيت وعيناه تبرقان انتصاراً :

ـ ولم أتردد لحظة واحدة . صعدت إلى غرفتها وفتشتها .

ـ وهل وجدت شيئاً مريباً ؟ .

ـ نعم ، وجدت هذا

ودس يده في جيبيه ، ثم بسطها إلى ، وفيها آلة حلاقة ، وصابون
حلاقة . وقال :

— ما حاجة المرأة إلى مثل هذه الأشياء ؟.

وقلت ضاحكاً :

— لعل لها شاربًا خفيًا تضطر أن تخلقه .

— إنك تبدو غير مقتنع ، يا سير أوستاس ؟ . إذن ، فما رأيك
في هذه ؟.

وكانت « هذه » باروكة من الشعر .

وسألته :

— وأين عثرت على هذه الباروكة ؟.

— في غرفة مس بيتجروا . فهل اقتنعت الآن أن سكرتيرتك رجل
متخفف في زي النساء ؟.

— إذن فهذا هو السبب في ضخامة قدمها . لقد لاحظت أن لها قدمًا
كبيرة لا تتناسب مع قوام المرأة .

وران علينا الصمت برهة ، ثم قال :

— والآن أريد يا سير أوستاس أن أكشفك بسر يتعلق بي شخصياً ..
لقد أدركت من غمزاتك وتلميحاتك بشأن رحلتي إلى فلورنسا إنك اكتشفت
أنني لم أسافر إلى إيطاليا أثناء هذه المطلة
وقلت له :

— إذن حدثني بكل شيء بجاجيت ، واكشف لي سرك ..

وأردفت :

— هل ضايقك زوجها ؟ هل فاجأك وأنت في أحضانها

فتطلع إلى بجاجيت في دهشة وقال :

— زوجها ؟ إني غير قادر يا سير أوستاس

- زوج السيدة التي التحذتها عشية لك ، فان الأزواج يrossover أحياناً في وقت غير مناسب .

- قلت لك يا سير اوستاس انتي لم أسافر مطلقاً إلى فلورنسا . إنني أعتقد يا سير اوستاس انك رأيتني وعرفتني ، وهذا هو السبب في تلبية مهاتك وغمزاتك عن رحلة فلورنسا .

فقلت في استغراب ودهشة :

- رأيتكم .. وعرفتكم ؟ . « ولكن بحق الشيطان أين رأيتك » ؟

- لقد ذهبت إلى مارلو .

- مارلو ؟ .. وبحق الشيطان ، ما الذي دعاك إلى السفر إلى مارلو ؟ ..

- لأجل زوجي وأولادي .

- زوجتك وأولادك ؟ .. لقد كنت أعرف ، دائمًا ، إنك غير متزوج .

- هذه هي أكذوبتي يا سير اوستاس .. وإنني اعتذر عنها ولكن كان لا بد أن أكذب

- منذ مق وانت متزوج ؟ .

- منذ ثانية أعوام .

- ولكن لماذا كذبتي علي ؟ .

- إنك أعلنت يا سير اوستاس عن حاجتك إلى سكرتير مقيم يشارط فيه أن لا يتكون متزوجاً .

وتقدمت اليك ، وكنت عندك غير متزوج ، وألحقني بالعمل لديك ، لكنني ما كدت أستقر في حياتي ، حتى بادرت إلى الزواج . وخشيت أن أظلمك على ذلك ، فتفصلني عن العمل ، فكتبت عنك أمر زواجي .

- يا إلهي .. إذن ، فمنذ ثمانية أعوام وأنت تستغلفني ! .. وكم ولدأ لديك ؟ .

- أربعة يا سير أوستاس .

وبيشت برهة مفكراً ثم سألته :

- وهل رویت هذه الحکایة لأحد غيري ؟

- من بيده فيله فقط ، فقد قابلته في المحطة في كمبلي أثناء قدومي إلى هناك وسألته عن سبب وجودي في مارلو ، في ذلك اليوم . يوم مقتل الراقصة الروسية .

- وهذا ذهبت تورها ، وأنت تزعم إنك ستقتضي عطلتك في فلورنسا ..

- تماماً .. يا سير أوستاس .. آسف جداً . لقد ذهبت إلى بيتي يوم مصرع المرأة الأجنبية في فيلا الطاحونة .

- وأين كانت تعيش زوجتك خلال هذه الأعوام الثمانية ؟
- في مارلو .. إن بيتي هناك .

وبعد سكتة قصيرة قال باجيت :

- لا شك إنك غاضب علي ، يا سير أوستاس ، إذ كنت علیك . ولا سبيل أمامي للتکفير عن أکذوبق إلا بأن أقدم إليك استقالتي .

فقلت له :

- لا داعي لأن تکفر ، ولا داعي لأن تستقيل .

بعد أن انصرف باجيت ، ملكتني رغبة قوية في أن أتجول قليلاً في المدينة .

ومررت ب محل التحف ، ودخلت إليه .

وهرول إلى صاحبه وعرض على بعض ما لديه .

فقلت له :

- إنني لا أريد شيئاً من هذه التحف العادية التافهة ، وإنما أريد تحفه
أصلية . تحفة لا مشيل لها .

فقال : إن لدينا فعلاً تحفـاً أصلية ، ولكنـنا لا نعرضـها إلا على الأـخـصـاء
من عـلـائـنـا .. هلـ لـكـ اـنـ تـقـضـيـ بالـدـخـولـ إـلـىـ الـغـرـفـةـ الـخـلـفـيـةـ
مـنـ الـتـبـيرـ ؟

وـفـتـحـ بـابـاـ فيـ أحـدـ الـأـركـانـ ، وـمـشـيـتـ فيـ أـعـقـابـهـ إـلـىـ الدـاخـلـ .

الفصل الثلاثون

(ان بيدنجفيلد تروي بقية قصتها)

أطلعت سوزان على الخطاب الذي وصلني وعرضت عليهما خطقي ،
قالت : « لا » .
ولكنني قلت : بل نعم .

ورجتني سوزان ، ورفحت رجاءها ، ونبذت توسلاتها وأخذت تبكي وهي
تتضئع إلی ، ولكنني لم أحفل ببكائها .
— ولكنك أيتها الحفاة ستعرضين نفسك للقتل .

ولكنني ازددت عناداً وتشبها ، والقيت اليها تعليقى ، ووعدتني بأن
تفندها بكل دقة وقالت :
— أيتها الطفلاة المجنونة ! .. في هذه المرة ، سيظفرون بك
ويقتلونك .

ذهبت الى الموعد المفروض في ساعة مبكرة من صباح اليوم التالي ،
طبقاً لما ورد بالخطاب الذي وصلني ، ووجدت في «نظاماري هولنديا» قصیر
القامة له لحية سوداء مدبة .

فدعاني إلى ركوب سيارة أتى بها معه ، وانطلقت بنا السيارة في طريقها

الى مكان اللقاء

وسمعت دوي طلقات نارية صادرة من بعيد ، فاستفسرت عنه عن سببها ، فرد :

ـ إنها دوي البنادق .. لقد وقع شغب شديد في جوهانسبرج ، فإن الثورة وشيكة بآن قنداع .

توقفت بنا السيارة في ضواحي المدينة أمام بيت في طريق جانبى منعزل ، وفتح الباب ، وقادنى المولندي إلى قاعة فى صدر فهو ، وقال يعلن قدومي :

ـ لقد وصلت الفتاة يا مستر هاري رايبورن .

ثم أطلق ضحكة تتطق بالسخرية وانسحب متراجعاً .

دخلت إلى الغرفة وأنا أعلم مسبقاً إنني لن التقى بهارى رايبورن ، بل كنت أعرف انهم يستدرجونى إلى كمين منصوب .
وكان هذا هو السبب ، في معارضه سوزان لدهاى إلى الموعد المضروب .

ونهى لاستقبالى شخص كان يجلس إلى مكتب فى أقصى الغرفة ، وقال مرحباً :

ـ مرحباً بك يا من آن بيذنجفيلد .

فرددت عليه قائمة في هذه :

ـ عجبأاا.. يبدو أنني زائفة العينين ، فلست ادرى ان كان من أمامي هو القس شيستر أم من بيتهجرول ان بينكما تشابهـاً شديداً حتى لرأى عاجزة عن التفريق بينكما .

فقال : لك ان تعتبرى اننا شخص واحد .

وجلست أنا أقول في تهكم :

ـ يبدو أنني أخطأت العنوان ، فقد أتيت لأقابل مستر هاري

رائیوں ..

فضلك قائلًا :

- هاري رايورن ا. لقد كنت أعتقد يا مس بيدجفيلد إنك أذكي من أن تنزلللي في خباء الى مثل هذا الفنون المكتشف.

تقى في غباء الى مثل هذا الفتن المكشوف .

ـ صدقـت .. كان تصريـ في دلـيلاً عـلـى الغـباء ..

وییدو ان شینا ف لمجع آثار شکو که اذ قال :

— كنت أتصور أن تتلقى هذه المفاجأة بمطريقة مختلفة.

ذوقات :

- أكنت تتوقع مني أن أصاب بذوبه هستيرية .

وساد بيننا الصمت هندة ثم قال :

وَالآن فَلَتَكْلُمُ فِي الْعَمَلِ .

فقہ

نیاں

ـ ما هذا المرأة ؟ ألا تدركين إنك الآن في قبضة يدي ، واني أستطيع
مامامة ان أبوطش بك .

فهززت كتفي في استخفاف وقلت له :

— دخلت من الوعيد والتهديد ، فانه لا يتحققني ، ولا يهز من رأسي
شمرة واحدة .. ان لم أقابل سير اوستاس بيبلو نفسه ، فلن أتفوه
 بكلمة واحدة .

ويونغت شمسير عند سماعه هذا الاسم . ثم قال :

لُجْنَةٌ وَاحِدَةٌ

وأنسحبت من الغرفة.

ثم عاد بعد دقائق معدودات ، وقال :

ـ تقضي معي .. سير اوستاس في انتظارك .

ومضى بي الى الطابق الأعلى ، ونقل على باب احدى الغرف ، ودعاني الى الدخول .

وهب سير اوستاس بيده يرحب بي ، وشد على يدي يصافحني بحرارة وهو يقول :

ـ هلا تفضلت بالجلوس ... اني سعيد بلقاءك يا من بيدهنفيلد .

ثم جلس في مواجهتي ، وتأملني بنظره طويلة وقال :

ـ منذ متى وانت تعرفين انتي « الكولونيل » ؟

ـ منذ ان قال لي باجبيت انه راك في مارلو يوم مصرع الراقصة الروسية في حين اتنا كنا جميعاً نعتقد انك في « كان » في فرنسا .

فهز سير اوستاس رأسه وقال :

ـ لقد دبرت الخطة بذكاء وبراعة ، ولكن سوء الحظ أراد ان يذهب باجبيت الى مارلو في ذلك اليوم ، فانكشف تدبيري كل ..

لقد بعشت بباجبيت الى فلورنسا ، وأخطرت فندقي بأنني ذاهب الى نيس لأقضى ليلة واحدة او ليلتين على الأكثر ، ثم تسللت الى مارلو وقتلتها ، وعدت على الفور الى كان ، دون ان يخطر ببال أحد اني غادرت الريفيرا .

وقلت له :

ـ وأنت طبعاً الذي حاولت ان تقذف بي الى البحر من فوق سياج الباحثة كيلوردن .. وكنت أنت ذلك الشبح الذي لمحه باجبيت يتتجول ليلاً متلصصاً في نمشي الباحثة فتعقب خطواته .

فهز كتفيه وارتسمت على شفتيه ابتسامة وقال :

ـ اني آسف يا ابنني العزيزة .. انتي لا انكر اني شعرت بالميل اليك منذ

اول لحظة التقينا فيها ، ولكن كان لا بد ان أزيمك من طريقي حتى لا تفسدي خططك وتقضي على مشروعك .

وعقبت بقولي :

ـ الحق ، انك بارع في تدبير الخطط ، يا سير اوستاس ، فقد كانت خطتك على غاية من الذكاء ، يوم حاولت أن تقتلني ، عند الشلالات ..

لقد سمعتك ، وأنا أمر بباب غرفتك ، تملي خطاباً على سكرتيرتك مس بيتجروا ، أعني مستر شيستر ، ولذلك كان في وسمى ان أقسم على افك كنت في جناحك .

فضحك سير اوستاس وقال في مرح :

ـ نعم .. كانت خدعة رائعة ، فانك لم تكوني تعرفين ان شيستر مثل قادر بمحيد تقليد الأصوات ، فقد سبقتك الى الشلالات ، أترقب قدمك ، وتركست شيستر في جناحي ، يتكلم تارة مقلداً صوتي ، وتارة مقلاً صوت مس بيتجروا . فجأة عليك الحيلة واعتقدت انتي في حجرتي ألمحت الى سكرتيرتي .

وسأله :

ـ ثمة سؤال يدور بخليدي ... ان باجيته بريء ، ولا ضلع له في موامرتك ، ولا شأن لها بها ، فكيف جعلته يختار مس بيتجروا بالذات سكرتيرة لك ؟

ـ الأمر على غاية من البساطة .. لقد أوفدتني الى الغرفة التجارية ، ليطلب اليهم ان ينتقا سكرتيرة لي . وكان شيستر ، أعني مس بيتجروا ، في انتظاره في بهو الغرفة التجارية

ف لما رأته داخلاً ، تقدمت منه وقالت له اذني اتصلت تليفونيا طالباً سكرتيرة مؤقتة ، وان رئيس الغرفة اختارها للقيام بهذه المهمة ..

وطبعاً ، صدقها باجيت ، بما طبع عليه من سلامة النية ، وعباد
بها إلى .

وقلت له في استغراب :

ـ الذي يدهشني يا سير أوستاس إنك لا تتردد لحظة في الاعتراف بما فعلت
فهلا تخشى أن أشي بك ؟ .

فضحلك قائلًا :

ـ ولم أخشاك وانت في قبضة يدي .
وسأله :

ـ سير أوستاس .. هل أنت واثق من نجاح الثورة ، وسقوط الحكومة
الحالية ؟ ..

ـ كلا ، طبعاً .. لن تغطي إلا أيام معدودات ، ثم تلخصي الحكومة
القائمة على الثورة ، وتختتمها .. إن الجنرال سلطان ، شخص
قوى .

ـ ولكنك المعرض على قيام هذه الثورة .

ـ كلا يا ابني .. إنني مجرد رجل أعمال أبيض السلاح الى الشوارع والـ
الحكومة في نفس الوقت .

وفرغ كل ما لدى من أسئلة ، وران علينا السكوت برهة .

ثم عدت أقول :

ـ قلت إنك لا تخشى جاني ، وإنني دهن إشارتك . فماذا تعني يا سير

اوستاس ..؟
وأجاب :

— لقد استدرجتك إلى عريني .. هذا أمر مفروغ منه ، ولا سبيل
للك إلى الفساد من قبضتي ، ولكن المشكلة التي تواجهني هي ما عساي
أفعل بك ..؟

إن من السهل جداً أن أقتلك وآخلص منك ، ولكني أشعر بالميل إليك ،
وبي ضعف من ناحيتك ، ولذلك قررت أن أتزوجك ، وأنت تعرفين طبعاً
أن القضاء لا يأخذ بشهادة الزوجة ضد زوجها ، فهنا قلت فان المحاكم لن
تدينني بأقوالك .

فقلت في سخرية :

— هذا اذا رضيت ان أتزوجك .

— بل سأكرهك على ان تفترن بي .

— إذن ، فأنتم واهم . يبدو انك لا تعرفي حتى المعرفة ، يا سير
اوستاس .

فهز رأسه في أسى وقال في مرارة :

— هذا شيء يوسف له .. وإنذن ، فلن يبقى لدى ، إلا الحال
الثاني .

وارتعدت للنبرة الوحشية التي نبضت بها كلماته .

وقال : أهناك في حياتك رجل آخر ؟

فأومأت برأسه قائلة :

— نعم .. إنني أحب رجلاً آخر .

— هذا ما كنت أتوقع .. لقد ظننت في البداية انك وقعت في هوى
الكولونيل رئيس ، ولكني ما لبشت ان تبينت خطئي ..
إنه ، طبعاً ، ذلك الشخص الذي أنقذك عند سقوطك إلى هوة

. الشلالات .

وتابع سير اوستناس في مقعده ، وقال وهو يتنفس :

- ما يؤسف له ، انك لا تخفين ان تكوني ليدي اوستناس
بيدل ..

وبعد سكتة قصيرة قال :

- والآن حدثينا يا فتاتي بقصتك كلها .. وأحب ان اذرك : لا داعي
للكذب .

وكنت أعرف هذا ... كنت أعرف انه أذكي من أن استطيع
خداعه .

* * *

وبسادات أروي له القصة ، منذ بدايتها ، دون أن أكذب في حرف
واحد .

فلا فرغت منها قال :

- إنها لقصة عجيبة حقاً . قصاصة ورق تلتقطينها من عرض الطريق
تدفع بك إلى كل هذه المغامرات والأخطار . لو ان غيري مكانني لما صدق
حرفاً ما تقولين ، أما أنا فأؤمن بكل كلمة نطقت بها ، فان روح المغامرة
والتحدي تتطل من عينيك .

ثم استطرد :

ـ إنك ، يا فتاتي ، ما بجوت من الموت إلا لأنك إمرأة محظوظة ، وإنما
ما أفلت من يدي ..

إني احترفت حياة المغامرة ، ولما أبلغ العشرين بعد ، أما أنت ف مجرد
هاوية . وعندما يواجه المهاة المحترفين ، فالقلبة دائمًا المحترف – لولا ان
حالفك الحظ .

وقطعته بقولي :

- لقد رویت لك قصتي دون أكذوبة واحدة ، فما الذي تنوی ان
تفعله بي الآن ؟
- المهم ان أعرف اولاً اين الماسات .
- إنها مع هاري رايبورن .

فارتسمت على وجهه ابتسامة مرحمة ساخرة وقال :

- جميل جداً .. إني أريد هذه الماسات .. وفي الحال .
- فأجبت :

- مستحيل .. إنك لن تجد وسيلة للحصول عليها .
- إسمعي يا فتاني .. إن لدى في الطابق الأسفل رجال الف هذه المهام ،
وبحسبه إيماءة من إصبعي فيرافق أنفاسك .
- ومع ذلك ، فالخيار لك : إما حيائنك ، وإما الماسات ، فاختارى
ما تشائين ..

فقلت في شيء من التردد :

- وهاري ؟ . ما عسى ان يكون من شأنه ؟

فلاحت على شفتيه ابتسامة لطيفة وقال :

- إني شخص عطوف ، رقيق القلب ، وأكره ان أفرق بين عاشقين ،
فبمجرد ان أسلم الماسات ، سأطلق سراحكما ، على شرط الا تتدخل في
شئوني مرة أخرى .

- وما هو الضمان على انك ستفي بوعدك ؟
- لا ضمان على الاطلاق ، يا طفلتي العزيزة – فيما عدا مجرد

مختلقي

وما من شئ ، في انني كنت أريد منه ان يعرض علي مثل هذا الاقتراح ، فهو الشيء الوحيد الذي يتفق مع الخطة ، التي وضعتها قبل حضوري الى لقائه .

ولكتني ، أبديت شيئاً من التمنع والامساومة ، حتى لا أثير شكوكه .

وأخيراً ، قبلت اقتراحته ، متظاهرة بأنني أذعن له ، على كره مني .

ثم قال :

ـ والآن خذني ورقة وقلماً ، وسطري الى حبيبك هاري رايبورن الرسالة التي سأمليها عليك .

وتناولت القلم ، وتهيات للكتابة فقال :

ـ اكتب ما سأمليه عليك ، وإياك ان تزيدني كلمة واحدة .

وببدأ ميلي على ما نصه :

« حبيبي هاري

ـ أعتقد انني اهتديت الى الوسيلة التي يمكن بها إثبات براءتك ، من تهمة سرقة ماسات كمبرلي وتطهير اسمك .

ـ فأرجو لك ان تتبع هذه التعليلات بكل دقة :

ـ إذهب الى محل التحف المملوک لأجرأساقو ، واطلب منه ان يريك تحفناً أصلية ممتازة ، وسيجبيك ان لديه مثل هذه التحف ، وسيدعوك إلى دخول الغرفة الخلفية من متجره .

ـ فاصحبه اليها ، وستجد هناك ، في انتظارك ، رسولًا من قبيل سياقى بك إلي .

« لا تنس ان تحضر الماسات معيك ، وإياك ان تذهب الى أحد بشيء عن خطابي هذا اليك » .

وكتب سير اوستاس عن الاملاء وقال :
ـ والآن ذيلي الخطاب بتوقيعك ، ولذلك ان تنغيري ان شئت أشد الكلمات تصيراً عن حبك .

فتناولت القلم وكتبت :
« حبيبتك الخلقة الوفية »
« آن بيدنجفيلد »

وتناول سير اوستاس الخطاب مني ، وتلاه على مهل ثم قال :
ـ حسناً .. إنه واف بالغرض تماماً .. والآن اكتبني الاسم والعنوان على المظروف .

ودق جرساً ، وهرع شيستر إلى تلبية النداء .
وقال له :

ـ أريد ان يصل هذا الخطاب إلى صاحبه ، في الحال ، وبالطريقة المعتادة .

ونظر شيستر الى الاسم المسطور على المظروف ، وامتنع وجهه ، وكان سير اوستاس يرقبه خفية .

وقال له :
ـ أهو صديق لك يا شيستر ؟

وأجفل شيستر وأصحابه :
ـ صديق لي ؟ . كلا .. اني لا أعرفه .
فابتسم سير اوستاس ابتسامة لطيفة وقال :

ـ هذا عجيب ، فائز تحدث اليه بالأمس ، في جوهانسبرج ،
حديثاً طويلاً .

فاز درد ريقه وقال :

ـ لا أدرى إن كان هو أم لا .. لقد أقبل علي شخص لا أعرفه وطلب
مني بعض المعلومات عنك وعن الكولونيل ريس ، وبطبيعة الحال ، قدمت
اليه معلومات مضللة .

ـ بديع ! .. بديع جداً !

وتعلمت الى وجه شيستر وهو يغادر الغرفة ، ورأيته متقدماً شديد الشحوب
لفرط فزعه ورعبه .



وما كاد يوصد الباب وراءه حتى قال سير اوستاس :

ـ إن شيستر خانني واتفق مع أعدائي .

ثم رفع سماعة التليفون الداخلي وتكلم فيها قائلاً :

ـ شوارت .. راقب شيستر جيداً ، وإياك ان يغادر البيت ، لأي سبب
كان ، دون امر مني .

وحين أعاد الساعة مكانها ، قلت له :

ـ سير اوستاس ٠٠٠ هل تسمح لي ، بأن أوجه إليك
سؤالاً ،

ـ سلي ما بدا لك ، ولن أصن عليك بالجواب .

(١١) موعد مع الموت

« إنك تعرف هاري رايبرون حق المعرفة ، فلماذا أخذته بخدمتك ، سكرتيراً لك ، ولم تسأله إلى الشرطة ؟ .

— لأنني كنت أريد هذه الماسات اللعينة ..

كانت نادينا تستغل هاري في تهديدي ، فقد أنذرته بأنها ستسلمه الماسات إن لم أنقدرها ثمنها طيباً .

فدعوتها إلى فيلا الطاحونة وقتلتها لاستولي على الماسات ، ظننا مني أنها كانت تحملها معها ، ولكنها كانت أذكى مني وأدهم .

وكان زوجها كارتون قد مات أيضاً ، مصعوباً بالقضبان الكهربائية ، ولم يكن لدى أي أثر يرشدي إلى مخبأ الماس .

ثم علمت أن برقية أرسلت إلى نادينا من الباندرة كيلوردن ، وإن كنت لم أعلم أن كان صاحبها هو كارتون أم رايبرون . واستطعت أن أحصل على صورة هذه البرقية .

فإذا بها صورة طبق الأصل من القصاصـة ، التي وقعت من الطبيب في النفق ، والتقطتها انت ، إذ لم يكن مدوناً بها إلا هذه الكلمات :

١٧٢١

فاعتقدت أن هذا التاريخ موعد مضمون بمقابلة رايبرون .

فلم يجاءني يزعم أنه موقد إلى من وزارة الخارجية ، ليصحبني في رحلتي إلى جنوب إفريقيا ، بصفته سكرتيراً لي ، أدركـتـ على الفور أنه كاذب ، وأن الوزارة لم توفرـهـ إلىـ . ولـكـنـيـ حينـ رـأـيـتـ لهـقتـهـ إلىـ السـفـرـ ، أـيـقـنـتـ أنهـ ذـاهـبـ إلىـ المـوـعـدـ المـحـدـدـ فيـ الـبـرـقـيـةـ ، فـاصـطـحـبـتـهـ مـعـيـ ليـكـوـتـ تحتـ رـقـابـيـ ، حـتـىـ إـذـ وـقـعـتـ المـاسـاتـ فـيـ يـدـهـ ، اـنـتـزـعـتـهـ مـنـهـ بـوسـائـلـ المـخـاصـةـ .

— والكونـيلـ رـيسـ ؟ ماـ كانـ شـأنـهـ فـيـ هـذـهـ الأـحـدـاثـ ؟ .

— أـنـيـ أـعـرـفـهـ مـنـ قـبـلـ ، وأـعـرـفـ أـنـهـ مـنـ رـجـالـ المـخـابـراتـ .. وـحـينـ وـقـعـتـ

سرقة الماسات في كمبلي ، كان موجوداً هناك .. وفي أثناء الحرب كان يحوم حول نادينا ويراقب تحركاتها ، إذ كانت تعمل جاسوسية تحت اشراف ، ولكنه فشل في الإيقاع بها .

واستطرد سير اوستاس :

— فلما ظهر الكولونيل ريس في الباخرة ، استولى على الحوف ، وخظر لي انه جاء في أعقابي ..
نعم .. ان الكولونيل ريس هو الشخص الوحيد الذي أخشاه .. انه رجل ذكي قوي الشكيمة شديد العناد .

ورن جرس التليفون ، فتناول سير اوستاس الساعة ، وسمعته يقول في البوّق :

— حسناً .. سأقابله بعد لحظات .

ثم التفت الى قائلها وهو يعيد الساعة مكانها :

— لقد جاءني زائر ، يا مس بيدجفورد ... فدعيني أرشدك الى غرفتك .

ومضيت الى غرفي ، وحمل الى أحد الخدم حقيبة ثيابي .
وكان بين الحقائب التي طلبت سوزان الى السير اوستاس ان ينقلها مع أمتعته
كما جاءني الخادم بآلة مليء بالماء الساخن .

ثم قال لي :

— لقد أمرني ، مستر شيستر ، ان أحمل اليك الماء ، فقد تخيّل أن تقتولي .
وبدأت أتّهيا للاستحمام ، وتناولت كيس الاسفنجية التي سألك به جسدي .
ولم است شيئاً صلباً في قاع الكيس .

وما كان هذا الشيء الصلب الا مسدساً صغيراً، وعجبت من الذي دسه
في الكيس؟.
أيكون شيسنر هو الذي فعل ذلك ، لأنـه انضم الى أعداء سير
اوستاس ..?
وفحصت المسدس فإذا به محشو بالرصاص .

وما ان ارتديت ثيابي حق دسست المسدس في جوربي ، فما يدرنيني اني
قد احتاج اليه

الفصل الحادي والثلاثون

في الحادية عشرة قدم الى الشاي ، وفي موعد الغداء جيء الى بوجبة شهية من الطعام ، وفي ساعة متأخرة من ظهيرة اليوم نفسه دعيت الى مقابلة سير اوستاس بيدلر .

وتحول الى قائلاً :

ـ ان صديقك الشاب في طريقة اليقى الان ، ولن تضي دقائق حق يصل .

وتعلم الى سير اوستاس بنظرة فاحصة وقال :

ـ لقد حذرتك صباح اليوم من ان تكتنبي علي وانت تسردين علي قصتك ، ولكنك حاولت ان تخذعني في جزء من القصة .

ورفت اليه وجهي مستفسرة عما يقصد .

فاستطرد :

ـ اذك حاولت ان تقتعيني بأن الماسات في حوزة هاري رايبورن ، ولم أحار على ان أقول لك اذك كاذبة ، وانما سلت بقولك افرض في نفسي .

فقد كنت اريد ان استدرج هاري الى المحضور الى عريته هنا .

ولكنني أحب أن أقول لك ، ايتها العزيزة ، إن الماسات كانت في حوزتي ، منذ غادرت مدينة الشلالات ، وإن لم اكتشف هذه الحقيقة إلا ليلة الأمس .

فهتفت :

- إذاً فأنت تعرف ا

فقال باسمها :

- ولعله يسرك ان تعلمي ان هذا الأبله باجيت ، هو الذي كشف لي هذه الحقيقة ..

لقد حدثني بالأمس عن لفافة افلام ، التي اتى احدى المصورات من خلال أنبوية التكثيف ، ولم يكن عسيراً علي بعد هذا ، ان استنتاج سر هذا الحادث .

ولما كانت ليدي بليد ترتاب في الكولونيل ريس ، فقد عهدت الي ببعضة صناديق أودعتها شيئاً من متابعاها ، وطلبت مني ان أضمها الى متابعي ، وان أشحن بعضها الى كيب قاون ، وأن أستبقي الصناديق الصغيرة معي .

وقد ظن باجيت ، ان الصناديق الصغيرة تخفي محتواياتها لينقصها .

فلا أخبرني بذلك لته على انه عبث بصناديق ليدي بليد ، ولما سأله عما تضمه هذه الصناديق ، ذكر لي ان من بين محتواياتها مجموعة من الأفلام .

فخظري ان من بينها ذلك الفيلم الذي قذف به الى مقصورتها من أنبوية التكثيف ، والذي استنتجت ان الماس مخبأ فيه .

فبحثت بالأفلام وفحصتها ، فوجدت ان لفافة منها أثقل من غيرها . فادركت دون عناء ان هذه اللفافة هي مخبأ الماسات التي أسعى اليها ، وما

كدت أفضها حتى تناولت منها الأحجار الكريمة
ووضعك سير اوستاسن واردف يقول :

ـ بما يُؤسف له يا عزيزتي ، إنك رفضت أن تكوني ليدي اوستاسن
بيدلر ... فالماسات الآن معنـي في حوزتي ، وأنت وصاحبـك هاري رايبورن
في قبضة يـدي .
ولبـثـت صـامتـة أـقـطـلـمـ الـيـهـ دونـ انـ أـنـطـقـ بـكـلمـةـ .

وتـنـاهـى إـلـىـ أـذـنـيـ وـقـعـ أـقـدـامـ مـسـرـعـةـ وـرـقـيـ الـدـرـجـ ،ـ ثـمـ فـتـحـ الـبـابـ
دـفـعةـ وـاحـدةـ ،ـ وـدـخـلـ هـارـيـ رـاـيـبـورـنـ ،ـ يـحـفـ بـهـ رـجـلـانـ منـ أـعـوـانـ سـيرـ
اوستـاسـ .

ولـاحـتـ عـلـىـ شـفـقـيـ سـيرـ اوـسـتـاسـ اـبـتـسـامـةـ اـنـتـصـارـ وـقـالـ :
ـ كـانـتـ خـطـقـيـ رـائـعـةـ !ـ انـ الـهـوـاـ لـاـ يـلـكـونـ شـيـئـاـ حـيـالـ الـمـحـترـفـينـ !ـ انـ
الـفـلـبـةـ دـائـراـ المـعـتـرفـ

وـقـالـ هـارـيـ رـاـيـبـورـنـ فـيـ بـجـفـوـةـ وـخـشـونـةـ
ـ بـحـقـ الشـيـطـانـ ماـ مـعـنـيـ هـذـاـ كـلـهـ ؟ـ .

وـأـجـابـهـ سـيرـ اوـسـتـاسـ فـيـ دـمـائـهـ وـرـقـةـ :

ـ مـعـنـاهـ يـاـ عـزـيـزـيـ رـاـيـبـورـنـ إنـكـ جـشـتـ بـنـفـسـكـ إـلـىـ عـرـينـ الـأـسـدـ طـائـعاـ مـخـتـارـاـ
تـسـعـىـ عـلـىـ قـدـمـيـكـ .

ـ فـأـقـىـ رـاـيـبـورـنـ بـنـظـرـةـ غـلـاضـةـ إـلـىـ نـاحـيـقـيـ وـقـالـ :
ـ وـلـكـنـكـ قـلـتـ يـاـ آـنـ اـنـيـ أـسـتـطـعـ أـنـ أحـضـرـ فـيـ أـمـانـ .

ـ فـرـدـ عـلـيـهـ سـيرـ اوـسـتـاسـ بـقـولـهـ :

ـ لـاـ تـنـحـ عـلـيـهـاـ بـالـلـائـةـ ،ـ يـاـ صـدـيقـيـ العـزـيـزـ ،ـ فـأـنـاـ الـذـيـ أـمـلـيـتـهاـ الرـسـالـةـ ،ـ
الـقـيـ بـعـثـتـ يـهـاـ يـهـكـ ،ـ وـكـانـتـ فـيـ مـوـقـفـ لـاـ يـسـمـحـ لـهـ بـأـنـ تـعـصـيـ
أـرـاـمـيـ .

ـ وـلـكـنـ يـحـبـ اـنـ أـعـتـرـفـ لـكـ بـأـنـهـاـ لـمـ تـكـنـ مـتـواـطـئـةـ مـعـيـ ،ـ بـلـ كـانـتـ

خدوعٍ في . وقد نفذت انت تعليماتها بكل دقة : ذهبت إلى متجر التحف ، وما إن دخلت إلى الغرفة الخلفية ، حتى الفيت نفسك في قبضة أعدائك .

ونظر إلى هاري خلسة ، وغمز بعينيه غمزة خفيفة ، وأدركت مغزى نظرته ومرماها ، واقتربت من سير اوستاس ، حتى صرت على قيد خطوة واحدة منه .

وقال سير اوستاس في ذبرة فوز وانتصار :
- ما أسوأ حظك يا هاري رايبورن ! .. لقد سبق أن أفلت من يدي ، أما في هذه المرة فلا مهرب لك .

وأجابه هاري في سخرية واستخفاف :

- أقطن ذلك ؟ .. سوف نرى ..

والتفت إلى هاري قائلاً في كلمات سريعة :

- آن ! .. صوبي إليه المسدس .

وكانت متيبة أورقب صدور الأمر ، فاكادت شفتاه تفبرجات عن الكلمات حتى أبرزت المسدس من داخل جوربي ، وصوبته إلى رأس اوستاس بيده .

وكانت مفاجأة لم يتوقعها أحد .

وحلق سير اوستاس دهشة وذهولاً ، وكذلك حلق الشخصان اللذان يحفلان بهاري .

ودوى صوت هاري في نذير ووحشية :

- آن .. أطلقني عليه النار فوراً إذا أبدى أحد اي حركة .. إليك ان تتردد .

فقللت : ثق إإنني لن أتردد .

ربان المخوف في وجه سير اوستاس ، حين رأني ألوح بالمسدس وهتف

برجليه :

— لا تتحرّكا .. إن إصبعها على الزناد ..

وقال له هاري :

— منها أن يغادر الفرفة ..

أصدر إليهما أوستاس أمره بالانصراف ..

وأغلق هاري الباب وراءها ، وأسمك إغلاقه بالرماح ، ثم تحول إلى وأخذ مني المسدس ..

وقال سير أوستاس :

— يا إلهي !! من أين جاءت آن بهذا المسدس ؟ .. لقد فتشت بنفسك متاعها ..

فقط اطعنه هاري :

— دعك من المسدس ، ولا تخسّن الوقت عبيداً ، وانتاقيش ما جنتنا من أجله ..

فتأنمه سير أوستاس بنظرية طويلة وقال :

— لا أنكر أن لك الآن اليد العلية ، ولكن لا تعلم أن البيت مملوء بأعوانى ؟ ..

فأغرق هاري في الضمحك وقال :

— أتحسب حقاً انه انتصار مؤقت ؟ .. إذن انصت إلى هذا ..

فقد ارتفعت من الطابق الأسفل في هذه اللحظة طرقات عنيفة على الباب ، وصوت دوى طلقات نارية ..

وشعب وجه سير أوستاس وقال متسللاً ..

— ما هذا ؟ .. ما هذه الضجة ؟ ..

— هذا هو الكولونيل رئيس ورجاله ..

— ولكن كيف وصل الكولونيل ومن الذي استدعاهم ؟ ..

- هدىء من روعك يا سير اوستاس . إنك لا تعلم ان بيسي و بين آن
اتفاقاً شفرياً في كتابة الرسائل ..

اننا نعلم اننا معرضون خلال هذه المغامرة للوقوع في المكائد ، ولذلك
اتفقنا على ان نضمن كل رسالة يكتتبها أحدهنا للأخر حرف « واو » مشطوباً ،
فاذا لم يرد حرف الواو المشطوب ضمن الرسالة عرفنا أن كاتبها أكوه على
تسطيرها بالتهديد .

فلما جاءتني رسالة آن ، التي تستدعي فيهما الى الحضور ، بحثت في
سطورها عن حرف « واو » مشطوب فلم أجده ، فأدركت انك أرغمتنا
على تحرير هذا الخطاب ، فذهبت به الى الكولونييل ريس ، واتفقنا على
خطة العمل .

وهكذا بعث ريس ببعض رجاله يراقبون متجر التحف ، ويحيطون
به من جميع نواحيه ، فلما غادرته من باب سري ، غير الباب العام
الذى دخلت منه ، تمكنتى المخبرون السريون ، واكتشفوا موقع عرين
الأسد .

* * *

واشتدت الضجة المتصاعدة من الطابق الأسفل ، وبدا ان رجال الكولونييل
ريس شرعوا يحطمون الباب .

واشتد دوى الرصاص ، صادراً من ناحية الطريق ، وتعالت
الصرخات .

وقال سير اوستاس بيدلر :
- يبدو ان الثورة قد اندلعت .

وكان على حق في هذا ، فقد دوت بعض طلقات المدفع ، وسقطت قنبلة على البيت المقابل ، فهدمت جزءاً من البناء وأشعلت فيه النار ، حتى كاد أوار اللهب يلفح وجه سير اوستاس ورقاشه .
وقال هاري رايبرون :

- لقد انتهت اللعبة ، يا عزيزي اوستاس ... إنك الآن في قبضة العدالة .

وفي هذه قال له اوستاس :

- أتفطن ذلك ؟ . إنك مخدوع يا صديقي ، فما زالت عندي حكمة أخيرة . أقوها .. ربما استطعت أن تبرئ نفسك من تهمة سرقة جواهر كبيرلي ، وربما أمكنك أن تبرهن على أنني السارق ، ولكنك لن تستطيع أن تقيم الدليل على أنني قاتل الراقصة نادينا ، فكل ما لديك ضدي هو أنني كنت موجوداً في مارلو يوم وقوع الجريمة ، ولكن لا أحد يستطيع أن يثبت أن بيفي وبين هذه المرأة أية علاقة ..

ثم أردف سير اوستاس في اعتقاده وثقة :

- أما أنت فالامر مختلف بالنسبة اليك ، فأنت تعرفها ، ولديك الدافع الى قتلها ، ثم ان لك سجل حافلا بالجرائم .

ثم لا تنس يا صديقي إنك لها ، ولا تنس أيضاً انimas موجودة عندك في حوزتي ، وهي الوسيلة الوحيدة ، التي تبرئك من تهمة السرقة .

ثم رفع ذراعه وهو يقول :
- وها هيamas يا صديقي
وطرحها بأقصى قوته عبر النافذة الى البيت المجاور ، الذي كانت تلتقطها

النيران فوقعت وسط الهيب المتسلع .

وقال سير اوستاس ضاحكاً في سخرية :

— ها هو دليل براءتك من تهمة سرقة كمبيوتر قد ابتلعته النيران . ولذلك يكفيكنا الآن أن نتبادل الحديث في حكمة وتعقل . إنك تويد ان تطهر احلك من تهمة سرقة الماس ، ودليل براءتك ذهب طعمه للنيران ، ولكنني على استعداد لأن أحير لك اعترافاً بأنني أنا السارق ، وانني أنا أيضاً الذي قتلت الراقصة نادينا ، وذلك مقابل ان تطلق سراحني وتدعني أذهب في سبيلي .

وهتف هاري :

— محال . لن أقبل هذا العرض إطلاقاً . حال ان أتخلى عن رئيس وأدعوك تهرب حتى لو كان ذلك على حساب حريري ..
ووضحك سير اوستاس قائلاً :

— إنك أحمق مجنون ! .. أرفض هذا العرض السخيف الذي فيه نجاتك ،
وذلك مجرد اعتبارات أدبية ؟

وقال هاري في إصرار :

— إني أرفض .

وسمعت طلاقات نارية تدوي داخل البيت ورقم أقدام مسرعة ترتفع
الدرج ، ثم قرع على الباب ، وحرك هاري الملاج ودخل الكولونييل رئيس
شاهاً مسدسه .

وقال يخاطب سير اوستاس :

— أخيراً وقعت في يدي ولا مهرب ليك .

فقططع اليه في هدوء واستخفاف قائلاً :

— ماذا تعني بهذا المراء الذي ترددت ؟ .

فأجابه رئيس :

— أعني انتي اكتشفت شخصيتك الحقيقة يا سير اوستاس . أعني اني

أعرف إنك « الكولونيل » أنت .. وآخر تهمة أو بعهدها إليك هي إنك قتلت الراقصة تادينا، ففي اليوم الثامن من شهر يناير لم تكن موجوداً في « كان » كما تدعى وإنما كنت موجوداً في مارلو ساعة مصرعها .

— حقاً؟ .. ومن أين جئت بهذه المعلومات القيمة؟ .. من صاحبنا هاري رايبرون سارق ماسات كمبولي؟ ..
— لا .. بل من شاهد آخر ..

وفتح الكولونيل رئيس باب الغرفة، وأورما بيده، وتلبية لاشارة دخل إلى الغرفة القدس شيستر .

وقال الكولونيل رئيس :

— هذا هو الشاهد الذي سيبعث بك إلى المشنقة يا سير اوستاس .

وتطلع سير اوستاس إلى « رجله » الذي غدر به، وغمض قائلًا، في مرارة وأسى .

— صدق من قال : « عندما تفرق السفينة تهر منها الجرذان » .
واندريت أقول :

— ومرة شيء آخر يا سير اوستاس .. إنك تعتقد إنك رمي الماسات وسط النار، ولكن هذا غير صحيح، فإنك لم تبق في النيران إلا قطعاً من الزجاج، فاننا لم نخبي الماس الحقيقي في لفافة الفيلم، وإنما وضعنا بدلله بعض قطع زجاجية على سبيل التمويه .

فسألني سير اوستاس في فضول :

— وهل يمكن أن أعرف أين خبأت الماسات؟ ..
فضحكت وأجبته :

— في بطن دمية الزرافه التي رجوتاك ان تحملها .

— يا لهي! .. ما أغرباني إذن! ..

واندري هاري رايبرون يقول :

— لقد أدهشك ان ترى مسدسًا في يد آن بيتدجفيلد، وتساءلت كيف وصل اليها ، فاعلم إذاً ان مساعدك شيستر هو الذي دسه في متاعها . لقد استطعنا ان نضمه الى صفنا في الاونة الأخيرة .

فعاد اوستام بردد من جديد :

. صدق من قال ان الحزان تسارع الى الهرب ، بمجرد ان توشك السفينة على الفرق .

وفي استسلام وخنوع مد يديه الى القيد الحديدي .
ودارت الأغلال بمعصمييه ، وغادر الغرفة مطأطناً رأسه خنولاً .

